المتشابه اللفظي

في القرآن الكريم

«دراسة وصفية تحليلية»

Verbal Similarities in the Holy Quran: (A Descriptive Analytical Study)

إعداد

أ . د / محمد عبد الوهاب الراسخ

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين بطنطا - جامعة الأزهر الشريف

المتشابه اللفظي في القرآن الكريم «دراسة وصفية تحليلية»

محمد عبد الوهاب الراسخ

قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين – جامعة الأزهر الشريف – بمصر.

البريد الالكتروني: elrasekh_mohamed@Yahoo.com

الملخص:

سلط هذا البحث الضوء على قضية نالت عناية كبيرة من المفسرين وغيرهم، وهي قضية المتشابه اللفظي الوارد في القرآن الكريم، ويهدف البحث إلى بيان أهمية علم المتشابه اللفظي في الرد بشكل عملي على الطاعنين في أسلوب القرآن الكريم، وذلك بالكشف عن أسرار الاختلاف بين متشابهات القرآن في ضوء السياق الواردة فيه، والذي يدل بشكل واضح على ملاحظة البناء اللغوي القرآني لمختلف الظروف والمقامات وأحوال المخاطبين، وهذا هو جوهر البلاغة، ومناط الإعجاز. كما يهدف البحث إلى إبراز المراحل التي مر بها علم المتشابه اللفظي، إضافة إلى بيان الطرق والأدوات التي استخدمها العلماء في عملية توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، وكذلك بيان الآثار الإيجابية الناتجة عن توجيه العلماء لمواضع التشابه اللفظي.

هذا وقد تبين من خلال البحث مدى العناية التي أولاها العلماء لقضية التشابه اللفظي، حيث أفردوا لها العديد من المصنفات، وضمنوها كتبهم وتفاسيرهم إيمانا منهم بأهميتها وأثرها الكبير، كما تبين من خلال البحث تنوع الطرق التي استخدمها العلماء في توجيه المتشابه، وأبرزها التوجيه بالنظر إلى تنوع الظروف والأحوال، والتوجيه بالنظر إلى مراعاة الموافقة المعنوية للسياق. كما كشف البحث عن تنوع الأدوات التي استخدمها العلماء في عملية التوجيه، ويأتي في مقدمتها اللغة والسياق. كما أظهر البحث الآثار الإيجابية لتوجيه المتشابه، وأبرز تلك الفوائد الرد على الطعون الموجهة لأسلوب القرآن الكريم. إضافة إلى دوره في حل الكثير من مشكل القرآن، كما أنه أبرز الأسرار البلاغية التي كشفت عن إعجاز القرآن البياني.

الكلمات المفتاحية: المتشابه – اللفظي – القرآن الكريم – دراسة وصفية تحليلية.

Verbal Similarities in the Holy Quran: (A Descriptive Analytical Study)

Mohamed Abdel Wahab El-Rasekh
Department of Quranic Interpretation and Sciences, Faculty of Theology,(Usul al-Din) Al-Azhar University, Egypt
Email: elrasekh_mohamed@Yahoo.com

Abstract:
This research sheds light on an issue that has garnered significant attention from interpreters and others, namely the issue of verbal similarities found in the Quran. The research aims to demonstrate the importance of the science of verbal similarities in practically responding to critics of the Quran's style. This is achieved by uncovering the secrets behind the differences between similar expressions in the Quran in light of their context, which clearly indicates an observance of the Quranic linguistic structure under various circumstances, contexts, and states of the addressees. This is the essence of eloquence and the core of the miraculous nature of the Quran.

Additionally, the research aims to highlight the stages that the science of verbal similarities has undergone, as well as to explain the methods and tools used by scholars in guiding the verbal similarities in the Quran. It also aims to illustrate the positive outcomes resulting from the scholars' guidance on the points of verbal similarity. The research reveals the extent of the attention scholars have given to the issue of verbal similarity, dedicating numerous works to it and incorporating it into their books and interpretations, believing in its importance and significant impact.

Furthermore, the research shows the variety of methods used by scholars in guiding the similarities, with the most prominent being the approach that considers the diversity of circumstances and conditions, and the approach that considers the semantic coherence with the context. The research also uncovers the variety of tools used by scholars in the process of guidance, primarily language and context. Moreover, the research demonstrates the positive outcomes of guiding the similarities, with the most notable benefits being the refutation of criticisms directed at the Quran's style, its role in solving many of the Quranic Ambiguities(Confusions), and highlighting the rhetorical secrets that reveal the miraculous nature of the Quran's expression.

Keywords: Verbal Similarities, Quran, Descriptive Analytical Study

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد النبي الأمي الهادي الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم وسار على نهجهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد

فمن أبرز العلوم التي نالت عناية كبيرة من المفسرين وغيرهم علم المتشابه اللفظي الوارد في القرآن الكريم، هذا العلم الذي يبحث في الألفاظ التي تكررت في موضوع معين من موضوعات القرآن الكريم إلا أنها وردت بأساليب متنوعة في التقديم والتأخير، والذكر والحذف، والتعريف والتنكير، وذلك لسر بلاغي أو لمعنى يراد تأكيده.

والاهتمام بموضوع المتشابه اللفظي يرجع في الأساس إلى أن هذه القضية تم التركيز عليها من قبل الطاعنين في القرآن الكريم، حيث إنهم روجوا حولها الكثير من الشبهات والأباطيل، وادعوا – زوراً وبهتانا – أن المتشابه اللفظي ما هو إلا صورة للتكرار المذموم، ومن هنا هب علماء الأمة يتناولون قضية المتشابه اللفظي، ويثبتون بالأدلة القاطعة أن ما يدعى أنه قصور في أسلوب القرآن إنما هو مظهر لإعجازه، وعلامة بارزة على سمو بلاغته وروعة بيانه، فقاموا بتوجيه مواضع التشابه، وبينوا سبب اختلاف التعبير القرآني من موضع آخر، وأبرزوا البلاغة القرآنية في أبهى صورها.

من هنا وفي ضوء هذا الجهد الذي بذله العلماء أحببت أن أسلط الضوء على هذه القضية من خلال هذا البحث الذي عنونت له بـ (المتشابه اللفظي في القرآن الكريم «دراسة وصفية تحليلية»).

أسباب اختيار الموضوع:

دفعني لاختيار هذا الموضوع عدة أسباب أجملها فيما يلي:

١ – أهمية علم المتشابه اللفظي، حيث إنه يعين على تدبر كلام الله عزوجل، وفهمه جيدا، كما أنه يساعد الحافظ على ضبط الآيات المتشابهات ورسوخها في قلبه وعدم حدوث أي خطأ في حفظه لها، وإضافة إلى ذلك فهو يزيد في إيمان المسلم وينفي عن قلبه الشك والارتياب في إعجاز القرآن، خاصة مع وقوفه على أسرار الاختلاف بين مواضع التشابه، ومعرفة دقائق الأسلوب البياني في القرآن الكريم.

٢ – محاولة الرد بشكل عملي على الطاعنين في أسلوب القرآن الكريم، وذلك ببيان دور المتشابه اللفظي في إبراز إعجاز القرآن البياني، حيث إن الكشف عن أسرار الاختلاف بين متشابهات القرآن في ضوء السياق الواردة فيه يدل بشكل واضح على ملاحظة البناء اللغوي القرآني لمختلف الظروف والمقامات وأحوال المخاطبين، وهذا هو جوهر البلاغة ومناط الإعجاز.

٣ – تسليط الضوء على المراحل التي مر بها علم المتشابه اللفظي، والتي تبرز عظمة الجهد الذي بذله العلماء في بلورة هذا العلم ووضع أصوله وقواعده.

٤ – بيان الطرق والأدوات التي استخدمها العلماء في عملية توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

٥ – بيان الآثار الإيجابية الناتجة عن توجيه العلماء لمواضع المتشابه اللفظي الواردة في القرآن الكريم.

مشكلة البحث :

يجيب هذا البحث عن التساؤلات الآتية:

١ – ما المقصود بالمتشابه اللفظي في القرآن الكريم؟ وما أنواعه؟

٢ – ما المراحل التي مر بها علم المتشابه اللفظي؟

٣ – كيف يمكن الاستدلال بالمتشابه اللفظي على إعجاز القرآن البياني؟ وكيف يمكن استخدام ذلك في الرد على المشككين؟

٤ – ما الطرق التي سلكها العلماء في توجيه المتشابه؟

٥ – ما الأدوات التي استخدمها العلماء في عملية التوجيه؟

٦ – ما هي فوائد توجيه المتشابه اللفظي الوارد في القرآن الكريم؟

منهج البحث :

اعتمدت في هذا البحث على المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، حيث تتبعت – قدر استطاعتي – مصنفات العلماء في المتشابه اللفظي (جمعا وتوجيها)، وقمت بدراستها وتحليلها واستنباط مبادئ هذا العلم وضوابط توجيهه.

محتويات البحث:

وقع هذا البحث في مقدمة، ومبحثين، وخاتمة:

المقدمة: وقد تضمنت التعريف الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، ومنهجه، ومحتوياته.

المبحث الأول : المقدمات الأساسية في علم المتشابه اللفظي: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: نشأة علم المتشابه اللفظي والمراحل التي مر بها.

المطلب الثالث: أنواع المتشابه اللفظي.

المبحث الثاني : توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم «طرقه

وأدواته وفوائده». وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : طرق توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المطلب الثاني : أدوات توجيه المتشابه اللفظي.

المطلب الثالث : فوائد توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

الخاتمة: وقد تضمنت أهم النتائج، وثبتا بالمراجع والفهارس.

وبعد

فما كان في هذا البحث من جهد وتوفيق فمن الله وحده، وما كان من قصور فمن نفسي ومن الشيطان، وأستغفر الله العظيم منه، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين

المبحث الأول

المقدمات الأساسية في علم المتشابه اللفظي

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: نشأة علم المتشابه اللفظي والمراحل التي مر بها.

المطلب الثالث : أنواع المتشابه اللفظي.

المطلب الأول

تعريف المتشابه اللفظي لغة واصطلاحا

أولاً: التعريف اللغوي:

يتكون مصطلح المتشابه اللفظي من كلمتين (المتشابه) و(اللفظي)، وهاك تعريف كل كلمة على حدة:

١ – **تعريف المتشابه:** بالنظر في المعاجم اللغوية نجد أن لفظ التشابه يدور حول معنيين:

الأول: التماثل والتساوي: يقول صاحب لسان العرب: «الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ: المِثْلُ، وَالْجَمْعُ أَشْباهٌ. وأَشْبَه الشيءُ الشيءَ: مَاثَلَهُ ... وشَبَّه: إِذَا سَاوَى بَيْنَ شَيْءٍ وَشَيْءٍ»(١). وفي المعجم الوسيط: «شَبَّه الشيء بالشيء: مثله وأقامه مقامه لصفة مشتركة بينهما»(٢).

والمعنى الثاني: الالتباس والخلط والإشكال: يقول صاحب اللسان: « المُشْتَبِهاتُ مِنَ الأُمور المُشْكِلاتُ، وَتَقُولُ: شَبَّهْتَ عليَّ يَا فلانُ إِذَا خَلَّطَ عَلَيْكَ. واشْتَبَه الأَمْرُ إِذَا اخْتَلَطَ، واشْتَبه عليَّ الشيءُ»(٣).

وفي القاموس المحيط: «الشبهة بالضم: الالتباس، وشبه عليه الأمر تشبيها: لبس عليه»(٤).

وإذا نظرنا في هذين المعنيين لمادة التشابه نجد أن بينهما ترابطا

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٥٠٣/١٣ – ٥٠٥)، مادة (شبه)، ط: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.

(٢) المعجم الوسيط لإبراهيم مصطفى ومجموعة من المؤلفين (٤٧١/١)، ط: دار الدعوة.

(٣) لسان العرب (٥٠٥/١٣).

(٤) القاموس المحيط للفيروز آبادي (١٢٤٧)، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ.

واضحا، فالمعنى الثاني – وهو الالتباس – ناشئ عن المعنى الأول ومترتب عليه، فالأشياء إذا تماثلت أشكلت، يقول ابن قتيبة: « وأصل التشابه أن يشبه اللفظ اللفظ في الظاهر، والمعنيان مختلفان. قال الله جل وعز في وصف ثمر الجنة: ﴿ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ [البقرة: ٢٥] ، أي متفق المناظر، مختلف الطعوم. وقال: ﴿ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [البقرة: ١١٨] أي يشبه بعضها بعضا في الكفر والقسوة. ومنه يقال: اشتبه عليّ الأمر، إذا أشبه غيره فلم تكد تفرق بينهما ... ثم قد يقال لكل ما غمض ودق متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره ... ومثل المتشابه المشكل وسمي مشكلا لأنه أشكل، أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله»(١).

وفي القاموس المحيط: « وتشابها واشتبها: أشبه كل منهما الآخر حتى التبسا»(٢).

٢ – تعريف اللفظي:

اللفظي: نسبة إلى اللفظ « واللفظ في أصل اللغة مصدر بمعنى الرمي، وهو بمعنى المفعول، فيتناول ما لم يكن صوتا وحرفا، وما هو حرف واحد وأكثر، مهملا أو مستعملا»(٣).

ثانياً: تعريف المتشابه اللفظي في الاصطلاح:

يعتبر الإمام الزركشي (ت ٧٩٤هـ) أول من وضع تعريفا للمتشابه اللفظي، حيث يقول في كتابه البرهان في علوم القرآن: « المتشابه وهو إيراد

(١) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص ٦٨)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

(٢) القاموس المحيط (ص ١٢٤٧).

(٣) الكليات لأبي البقاء الكفوي (ص ٧٩٥)، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت.

القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب ليعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكررا»[1].

هذا وقد فهم البعض أن المراد بالقصة في كلام الزركشي المعنى المشهور للقصة – وهو حكايات الأنبياء والسابقين وغيرهم – ولكن الصواب أن مراد الإمام الزركشي بالقصة الأمر والموضوع مطلقا، سواء ورد في أثناء قصة قرآنية أو غيرها، والدليل على ذلك أن الإمام الزركشي قال في تعريف المتشابه: « ويكثر في إيراد القصص والأنباء» فهذا الجزء من التعريف يبين أن الإمام الزركشي لم يقصد حصر ورود المتشابه في القصص وإنما يشير إلى أنه يكثر وروده فيها.

هذا وقد توالت تعريفات العلماء والباحثين للمتشابه اللفظي، وهي في معظمها متقاربة وإن كانت تختلف أحيانا من حيث الطول والقصر، ومن تلك التعريفات:

– عرفه الإمام السيوطي (ت ٩١١هـ) بقوله: « والقصد به إيراد القصة الواحدة في صور شتى وفواصل مختلفة بل تأتي في موضع واحد مقدما وفي آخر مؤخرا، أو في موضع بزيادة وفي آخر بدونها، أو في موضع معرفا وفي آخر منكرا، أو مفردا وفي آخر جمعا، أو بحرف وفي آخر بحرف آخر، أو مدغما وفي آخر مفكوكا، وهذا النوع يتداخل مع نوع المناسبات»[2].

– وعرفه أبو البقاء (ت ١٠٩٤هـ) في كتابه الكليات بقوله: « إيراد

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي (١١٢/١)، ط: دار المعرفة – بيروت – لبنان.
(٢) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٣٩٠/٣ – ٣٩١)، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ.

القصة الواحدة في سور شتى وفواصل مختلفة في التقديم والتأخير والزيادة والترك والتعريف والتنكير والجمع والإفراد والإدغام والفك وتبديل حرف بحرف آخر»[١].

ويظهر لنا من تعريفي السيوطي وأبي البقاء متابعتهما لما ذكره الإمام الزركشي.

– وعرفه د/ محمد مصطفى آيدين – في تحقيقه لكتاب درة التنزيل للخطيب الإسكافي – قائلاً: « هو أن تجيء الآيات القرآنية متكررة في القصة الواحدة من قصص القرآن، أو موضوعاته، في ألفاظ متشابهة، وصور متعددة، وفواصل شتى، وأساليب متنوعة، تقديما وتأخيرا، وزيادة ونقصا، وذكرا وحذفا، وتعريفا وتنكيرا، وإفرادا وجمعا، وإيجازا وإطنابا، وإبدال حرف بحرف آخر، أو كلمة بكلمة أخرى، ونحو ذلك، مع اتحاد المعنى لغرض بلاغي، أو لمعنى دقيق يراد تقريره، لا يدركه إلا جهابذة العلماء وأساطين البيان»[٢].

وعرفه د / محمد الصامل بأنه: « ما توارد من الآيات بنوع من التبديل والتغيير »[٣].

هذا وفي ضوء التعاريف السابقة يمكنني أن أستخلص تعريفا مختصرا للمتشابه اللفظي فأقول: « المقصود بالمتشابه اللفظي: ما تكرر لفظه في القرآن الكريم بتطابق تام أو مع اختلاف، وذلك لغرض وحكمة تدرك بالتأمل

(١) الكليات (ص ٨٤٥).

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي، تحقيق د: محمد مصطفى آيدين (٥٥/١ – ٥٦)، ط: جامعة أم القرى، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.

(٣) من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم. ت د: محمد الصامل (ص ١٣)، : دار إشبيليا، ط: الأولى.

والنظر».

فقولي: « ما تكرر لفظه» عام يشمل اللفظ المفرد والمركب، كما يشمل ما تكرر ذكره من:

– بعض آية: كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠ ﴾ [البقرة: ٨٠].

فقوله: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةٗ ﴾ أعيد ذكره في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٖۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ٢٤ ﴾ [آل عمران: ٢٤].

– أو آية: كقوله تعالى في سورة الرحمن: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٣ ﴾ [الرحمن: ١٣] فقد تكرر ذكرها أكثر من مرة في نفس السورة.

– أو آيتان متتاليتان: كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٨ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ﴾ [البقرة: ٥٨ – ٥٩] فهاتان الآيتان ورد ذكرهما في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٦١ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ

قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦١ – ١٦٢].

– أو آيات متتالية: كما في قصة سيدنا موسى مع فرعون والسحرة، فقد وردت مفصلة في سورة الأعراف في قوله تعالى: ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ﴾ [الأعراف: ١٠٩ – ١١٦]، وأعيد ذكرها في سورة الشعراء في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [الشعراء: ٣٤ – ٤٤].

وقولي «في القرآن الكريم»: إشارة إلى تنوع مواضع ورود التشابه اللفظي في القرآن، فقد يقع في الآية الواحدة، وفي السورة الواحدة، وفي سور شتى، كما أنه لا يقتصر على موضوع قرآني واحد، بل يرد في جميع المباحث والموضوعات القرآنية، فتارة نجده في القصص، وتارة في الأمثال،

وتارة في الأخبار وغيرها.

وقولي «بتطابق تام أو مع اختلاف»: إشارة إلى أن التشابه اللفظي له صورتان:

الأولى: التطابق التام، والمقصود به: إعادة ذكر الكلمة أو الآية القرآنية بنفس ألفاظها دونما تغيير أو اختلاف، كما في قوله تعالى: ﴿ وَيۡلٌ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥ ﴾ [المرسلات: ١٥] فقد تكررت هذه الآية في سورة المرسلات تسع مرات بنفس لفظها.

والصورة الثانية: التكرار مع وجود اختلاف وتفاوت لفظي أو تغيير وتبديل، وهذه هي الصورة الغالبة على المتشابه اللفظي في القرآن، وسيأتي الحديث عنها مفصلا عند بيان أنواع المتشابه اللفظي.

وقولي «لغرض وحكمة تدرك بالتأمل والنظر»: وإشارة إلى أن التشابه اللفظي إنما يرد في القرآن لحكم بلاغية وفوائد تفسيرية وليس للحشو والتطويل الممل كما يزعم الطاعنون في أسلوب القرآن.

المطلب الثاني

نشأة علم المتشابه اللفظي والمراحل التي مر بها

لا يمكن وضع تاريخ محدد لبداية هذا الفن، لأنه كما يقول د / محمد مصطفى آيدين: « لا توجد أخبار قاطعة بذلك»[(١)]، إلا أنه يمكن القول بأن الاهتمام بهذا العلم بدأ مبكراً، وهذا ما سيتضح من خلال سرد المراحل التي مر بها، والتي يمكن عرضها على النحو الآتي:

المرحلة الأولى: مرحلة ما قبل التدوين:

فقد أشار بعض الباحثين[(٢)] إلى أن علم المتشابه اللفظي بدأ الاهتمام به قديما، حيث ورد في بعض الروايات إشارات تصلح لأن تكون بدايات لهذا العلم جمعا وتوجيها، ومن ذلك:

١ – ما روي عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: « إن اسم الله الأعظم لفي ثلاث سور من القرآن: في سورة البقرة، وآل عمران، وطه، فالتمستها فوجدتها في سورة البقرة آية الكرسي ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفي سورة آل عمران: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ [آل عمران: ٢]، وفي سورة طه: ﴿ ۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ ﴾ [طه: ١١١]»[(٣)].

---

(١) درة التنزيل (٦٤/١).

(٢) الدكتور / محمد البركة في كتابه: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه (٦٢ – ٦٣)، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود – كلية أصول الدين بالرياض.
والدكتور / محمد رجائي في كتابه: توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين (٧٢ – ٧٣)، ط: أكاديمية الدراسات الإسلامية – جامعة ملايا – كوالا لمبور ٢٠١٢م.

(٣) أخرجه الحاكم في مستدركه (٦٨٦/١)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١١هـ.

٢ – ما ذكره الخطيب الإسكافي[١] في توجيهه لآيتي الكهف: ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ [الكهف: ٧١]، ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الكهف: ٧٤] عن قتادة: النكر أعظم من الإمر[٢].

٣ – ما ذكره القرطبي (ت: ٦٧١هـ) عن جعفر الصادق في توجيه تكرار (لا إله إلا هو) في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨] قال: الأول وصف، والثاني تعليم، أي قولوا واشهدوا كما شهد[٣].

٤ – ما ذكره الزركشي من أن بعض الزنادقة سأل الحسن بن علي ﷺ عن التكرار الوارد في سورة الكافرون، فقال: إني أجد في القرآن تكرارا، وذكر له ذلك، فأجابه الحسن بما حاصله أن الكفار قالوا: نعبد إلهك شهرا وتعبد آلهتنا شهرا، فجاء النفي متوجها إلى ذلك، والمقصود أن هذه ليست من التكرار في شيء بل هي بالحذف والاختصار أليق، وذلك لأن قوله: ﴿ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الكافرون: ٢]، أي لا أعبد في المستقبل ما تعبدون في المستقبل، وقوله: ﴿ وَلَآ

(١) الإسكافي: أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني، يعرف بالخطيب الإسكافي، عالم من كبار علماء الأدب واللغة في عصره، كان إسكافيا، ثم خطيبا بالري، من أشهر كتبه درة التنزيل. توفي سنة (٤٢٠هـ). الأعلام للزركلي (٢٢٧/٦)، ط: دار العلم للملايين ٢٠٠٢م.

(٢) درة التنزيل (٨٧٩/١).

(٣) تفسير القرطبي (٤٣/٤)، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٨٤هـ.

﴿ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ ﴾ [الكافرون: ٤]، أي ولا أنا عابد في الحال ما عبدتم في المستقبل، ﴿ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ ﴾ في الحال ما أعبد في المستقبل[١].

المرحلة الثانية: مرحلة جمع المتشابه اللفظي للحفظة والقراء:

وقد بدأت هذه المرحلة مبكرا على يد أعلام القراء، حيث وجدوا أن المتشابه اللفظي في القرآن يخلط ويلبس على حفظة القرآن الكريم، فعمدوا إلى جمع الآيات المتشابهة لفظا لأجل حفظة كتاب الله تجنبا للخلط والنسيان، وذلك من دون توجيه لهذه الآيات أو بيان لأسباب ترددها في أكثر من موضع من القرآن، ومن دون بيان لأوجه الاختلاف المعنوي فيما بينها، ولعل أول مصنف وضع في هذا الباب متشابه القرآن للكسائي (ت: ١٨٩هـ)، وقد أشار إلى ذلك السيوطي فقال: «أفرده بالتصنيف خلق أولهم فيما أحسب الكسائي»[٢].

وقد حقق هذا الكتاب وطبع مرتين: الأولى: تحقيق صبيح التميمي وطبعته كلية الدعوة الإسلامية سنة ١٩٩٤م ضمن السلسلة «التراثية» في طرابلس بليبيا في ٢٤٤ صفحة. والثانية: تحقيق محمد بن عيد الشعباني، طبعته دار الصحابة للتراث بطنطا – مصر، سنة ٢٠٠٦م.

ومن المصنفات التي وصلت إلينا أيضا: متشابه القرآن العظيم لابن المنادي (ت: ٣٣٦هـ) وقد اعتمد فيه على المنهج الاستقرائي التام حيث كان يتتبع آيات المتشابه اللفظي في القرآن سورة سورة، فكان يتتبع آيات سورة البقرة من مبتدأها حتى منتهاها، فإن وقف على آية وقع لها مثيل في

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/٢١).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٣/٣٩٠).

السور المتأخرة ضمه إليها، وهكذا حتى إذا فرغ من البقرة انتقل إلى آل عمران فما بعدها[١].

المرحلة الثالثة: مرحلة توجيه المتشابه اللفظي:

والمقصود بتوجيه المتشابه: بيان علل تكرار المتشابهات وعلل وجوه الاختلاف بينها[٢].

وتعتبر هذه المرحلة أجل وأعظم المراحل جميعا، لأنها المرحلة التي كشفت عن أسرار وحكم المتشابه اللفظي في القرآن، كما أنها اكتسبت أهميتها من دقة موضوعها وصعوبته، فتوجيه المتشابه ليس بالأمر السهل، فهو يحتاج إلى ملكة في دقة النظر ودربة في طول الفكر والتماس المعاني اللطيفة من القرآن عند من يشتغل به، يقول الإمام الكرماني في بيان صعوبة التوجيه: « وهو المشكل الذي لا يقوم بأعبائه إلا من وفقه الله لأدائه»[٣]، فليس كل أحد قادراً عليه « وذلك لدقة هذا العلم وبعد أغواره وصعوبة استنتاج التباين بين الآيات المتشابهات، ومشقة الوقوف على المفارقة بينها، ولخفاء الحكمة من تردد الآية أكثر من مرة، وعدم حضور المعنى الجديد الذي طلع علينا في آية جديدة تشابهت في لفظها مع آية أو آيات أخرى سوابق أو لواحق فألبس على الناظر فظن أن الآية هي الآية والمعنى هو المعنى في حين أن الآية غير الآية والمعنى غير المعنى»[٤].

والتأليف في توجيه المتشابه اللفظي اتخذ شكلين:

---

(١) توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين (ص ٧٤ – ٧٥).

(٢) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه. د: محمد البركة (ص ١٠٣).

(٣) البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني (ص ٦٤)، ط: دار الفضيلة.

(٤) توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين (ص ٧٦).

الشكل الأول: المؤلفات المفردة في توجيه المتشابه اللفظي: ويقصد بها الكتب التي اختص موضوعها بتوجيه المتشابه اللفظي فقط، ومن أشهر تلك الكتب:

- كتاب درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز للعلامة الخطيب الإسكافي الشافعي، وهو يعتبر رائد هذا العلم ومؤسسه.
- كتاب ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل لابن الزبير الغرناطي[١]، وهو من أوسع الكتب التي تناولت توجيه آيات المتشابه.
- كتاب كشف المعاني في المتشابه من المثاني لأبي عبد الله محمد بن جماعة[٢].

أما الشكل الثاني في التأليف في توجيه المتشابه، فيمكن أن نطلق عليه: المؤلفات التي لم تفرد لتوجيه المتشابه، والمقصود بها: الكتب التي تعرضت لتوجيه المتشابه اللفظي ضمن موضوعات أخرى هي الأصل في تلك المؤلفات، ويمكن تصنيفها إلى أربعة أصناف:

أولها: كتب التفسير التي اهتم أصحابها بتوجيه المتشابه، ومن أبرزها:

---

(١) ابن الزبير: أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي، محدث مؤرخ، انتهت إليه رياسة العربية ورواية الحديث والتفسير والأصول، من كتبه (صلة الصلة، وملاك التأويل). توفي سنة (٧٠٨هـ). الأعلام (٨٦/١).

(٢) ابن جماعة: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة الكناني، من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين، كان من خيار القضاة، وتوفي بمصر سنة (٦٣٩هـ). انظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد (١٨٤/٨ – ١٨٥)، ط: دار ابن كثير – دمشق ١٤٠٦هـ.

الكشاف للزمخشري، والتفسير الكبير للفخر الرازي، والبحر المحيط لأبي حيان، وروح المعاني للآلوسي، والتحرير والتنوير للطاهر بن عاشور.

وثانيها: كتب علوم القرآن: حيث أفرد أصحابها مباحث خاصة بعلم المتشابه اللفظي، ومن أبرزها: البرهان في علوم القرآن للزركشي، والإتقان في علوم القرآن للسيوطي.

وثالثها: كتب إعجاز القرآن العامة، والإعجاز البياني (البلاغي) خصوصا، فمن كتب الإعجاز العامة: إعجاز القرآن للباقلاني، ومعترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي، وإعجاز القرآن الكريم للدكتور فضل عباس.

ومن المؤلفات في الإعجاز البياني: خصائص التعبير القرآني للدكتور عبد العظيم المطعني، وصفاء الكلمة للدكتور عبد الفتاح لاشين، وكتابا التعبير القرآني وبلاغة الكلمة في التعبير القرآني، كلاهما للدكتور فاضل السامرائي.

وقد احتوت هذه الكتب على عديد الأمثلة التي حملت توجيهات لآيات المتشابه اللفظي.

ورابعها: كتب المناسبات: وأبرزها ثلاثة: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي (ت: ٨٨٥هـ)، والبرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي، وكتاب تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي[١].

المرحلة الرابعة: مرحلة نظم المتشابه اللفظي:

فكما ألف العلماء في جمع المتشابه نثرا، فقد ألفوا فيه نظما حيث إن

(١) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه (١٠٩ – ١١١).

النظم يسهل حفظه كما أن الطبع ينجذب إليه[١]، ومن أشهر منظومات المتشابه اللفظي ما يلي:

١ – منظومة هداية المرتاب وغاية الحفاظ والطلاب في تبيين متشابه الكتاب للإمام علم الدين السخاوي (٥٥٨ – ٦٤٣هـ) وهي أشهر المنظومات في هذا الباب وبلغت أبياتها ٤٣١ بيتا، وقد عرض لها عدد كبير من الباحثين والعلماء بالشرح والتحقيق.

٢ – منظومة تتمة البيان لما أشكل من متشابه القرآن لأبي شامة المقدسي (ت: ٦٦٥هـ).

٣ – منظومة كفاية القارئ في مشتبهات القرآن الكريم للإمام محمد هاشم الحارثي السندي (ت: ١١٧٤هـ)، وصفها السندي بأنها أوسع المنظومات في المتشابه اللفظي، حيث تشتمل على ثمانية وألف بيت، وتعد فريدة في هذا الباب في العالم الإسلامي.

٤ – منظومة الدمياطي في متشابه الآي والألفاظ للشيخ محمد بن مصطفى الخضري الدمياطي (ت: ١٢٨٧هـ) ونهج فيها منهج السخاوي[٢].

المرحلة الخامسة: الدراسات الحديثة في علم المتشابه اللفظي: ومن أشهرها:

– دراسة وتحقيق درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي لمحمد مصطفى آيدين، وقد طبعتها جامعة أم القرى ١٤٢٢هـ.

– دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل لمحمد فاضل السامرائي، والتي طبعت طبعتها الثانية سنة ١٤٣٠هـ.

– المتشابه اللفظي في القرآن وأسراره البلاغية لصالح بن عبد الله بن محمد الشثري سنة ١٤٢١هـ.

---

(١) المرجع السابق (ص ٩٤).

(٢) توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين (٧٩ – ٨٩) بتصرف.

المطلب الثالث

أنواع المتشابه اللفظي

بالنظر في مؤلفات المتشابه اللفظي السالف ذكرها – وخاصة ما يتعلق بتوجيهه – يتبين لنا أن المتشابه اللفظي ينحصر في نوعين:

النوع الأول: المكرر بنفس ألفاظه دون اختلاف: وقد أشار إلى هذا النوع ابن الزبير الغرناطي، ففي مقدمة كتابه ملاك التأويل تحدث عن مقصد الكتاب قائلا: « توجيه ما تكرر من آياته لفظا أو اختلف بتقديم أو تأخير وبعض زيادة في التعبير »[1].

فواضح من هذا النص أنه جعل النوع الأول للمتشابه اللفظي ما تكرر لفظا دون اختلاف، وهذا النوع له صورتان:

الأولى: أن يرد في نفس السورة، مثل قوله تعالى: ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ﴾ [الرحمن: ١٣] فقد تكرر إحدى وثلاثين مرة في سورة الرحمن.

والثانية: أن يرد في أكثر من سورة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ فقد تكررت في ست مرات: في يونس الآية ٤٨، والأنبياء الآية ٣٨، والنحل الآية ٧١، وسبأ الآية ٢٩، وياسين الآية ٤٨، والملك الآية ٢٥.

والنوع الثاني: المتشابه مع وجود اختلاف وتفاوت لفظي: ويندرج تحت هذا النوع ما يلي:

١ – **المتشابه بالتقديم والتأخير:** أو كما يقول الإمام الرزكشي: « أن يكون في موضع على نظم وفي آخر على عكسه وهو يشبه رد العجز على

(١) ملاك التأويل (٧/١).

الصدر»[1] وهو على أربعة أقسام:

الأول: تقديم كلمة وتأخيرها: مثاله؛ قوله سبحانه: ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ ﴾ [القصص: ٢٠]، وقوله تعالى: ﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ﴾ [يس: ٢٠].

الثاني: تقديم جملة وتأخيرها، مثاله قوله تعالى: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ ﴾ [غافر: ٦٢].

الثالث: الاختلاف في ترتيب المتعاطفات: مثاله قوله سبحانه: ﴿يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ١٣ ﴾ [المعارج: ١١ – ١٣]، وقوله تعالى: ﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ ﴾ [عبس: ٣٤ – ٣٦].

الرابع: تقديم الضمير وتأخيره؛ ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [المائدة: ٣].

٢–**المتشابه بالزيادة والنقصان**. وهو ثلاثة أنواع:

الأول: إثبات حرف وحذفه، ومثاله قوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا ﴾ [هود: ٧٧]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا

(١) البرهان في علوم القرآن (١/١١٣).

لُوطًا ﴾ [العنكبوت: ٣٣].

الثاني: إثبات كلمة وحذفها؛ مثاله قوله سبحانه: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٣]، وقوله تعالى: ﴿ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال: ٣٩].

الثالث: إثبات أكثر من كلمة وحذفها؛ مثاله قوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٩]، وقوله سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٧].

٣ – **المتشابه بالجمع والإفراد:** كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ ﴾ [البقرة: ٨٠]، وفي آل عمران: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ ﴾ [آل عمران: ٢٤].

ومن هذا القبيل ما تباين في صيغ جموعه نحو قوله تعالى: ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ ﴾ [البقرة: ٥٨]، وقوله: ﴿ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٔتِكُمْ ۚ ﴾ [الأعراف: ١٦١].

٤–**المتشابه بالإبدال:** وهو ثلاثة أنواع:

الأول: إبدال حرف بآخر. مثاله قوله سبحانه في سورة الرعد: ﴿ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ﴾ [الرعد: ٢]، وفي سورة لقمان: ﴿ كُلٌّ يَجْرِى إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان: ٢٩].

الثاني: إبدال كلمة بكلمة. مثاله قوله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ ﴾ [البقرة: ١٧٠]، وقوله سبحانه: ﴿ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ ﴾ [لقمان: ٢١].

الثالث: إبدال جملة بجملة. مثاله قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨].

٥-**المتشابه بالتذكير والتأنيث:** نحو قوله تعالى في آخر سورة هود: ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود: ٦٧]، وقوله تعالى في موضع آخر من السورة نفسها: ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود: ٩٤].

٦-**المتشابه بالتعريف والتنكير**. كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ ﴾ [البقرة: ٦١]، وفي سورة آل عمران: ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ [آل عمران: ٢١]، وكقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾ [البقرة: ١٢٦]، وفي سورة إبراهيم: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

٧-**المتشابه باختلاف الصيغ**. ويندرج تحته ما يلي:

أ – الاختلاف في الإسمية والفعلية. كقوله تعالى في سورة الأعراف على لسان نوح عليه السلام: ﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٦٢]، وفي نفس السورة يقول تعالى على لسان هود عليه السلام: ﴿ وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴾ [الأعراف: ٦٨].

ب – الاختلاف في صيغة الماضي والمضارع. كقوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وفي سورة الفرقان: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ﴾ [الفرقان: ٤٨].

ج – الاختلاف في الفعل من حيث البناء للمعلوم والبناء لما لم يسم فاعله. كقوله تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [التوبة: ٨٧]، وفي نفس السورة يقول تعالى: ﴿ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ ﴾ [التوبة: ٩٣].

د – الاختلاف في صيغ الاشتقاق. كقوله تعالى في سورة هود: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٢٢ ﴾ [هود: ٢٢]، وفي سورة النحل: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٠٩ ﴾ [النحل: ١٠٩].

هـ – ما اختلف من حيث التجرد والزيادة، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾ [البقرة: ٣٨]، وفي سورة طه: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ ﴾ [طه: ١٢٣].

و – ما اختلف في أحرف الزيادة، كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ﴾ [البقرة: ٤٩]، وفي سورة الأعراف: ﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ ﴾ [الأعراف: ١٤١].

٨–**المتشابه بالإظهار والإضمار**، كقوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧]، وفي سورة الأعراف: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٧][1].

(١) راجع أنواع المتشابه اللفظي في: البرهان في علوم القرآن (١/١١٣ – ١٣٢)، ودراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل للأستاذ الدكتور: محمد فاضل السامرائي (ص ٢٤)، وتوجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند المفسرين – دراسة في تفسيري الرازي والآلوسي ت د / ريم عبد الفتاح (ص ٢٣ – ٢٨) رسالة ماجستير في الآداب – كلية الآداب – قسم اللغة العربية بجامعة المنوفية.

المبحث الثاني

توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

«طرقه وأدواته وفوائده»

وفيه ثلاثة مطالب

المطلب الأول : طرق توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المطلب الثاني : أدوات توجيه المتشابه اللفظي.

المطلب الثالث : فوائد توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم.

المطلب الأول

طرق توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

التوجيه في اصطلاح أهل اللغة هو: إيراد الكلام على وجه يندفع به كلام الخصم(١).

فـ « حقيقة التوجيه في العلوم هي أنه إذا وقعت صعوبة في فهم كلام ما – من قرآن أو حديث أو أثر أو شعر أو غير ذلك – يقف الشارح عند ذلك الكلام الذي قد يفهم على غير الوجه الصحيح، أو لا يفهم أصلا، أو يفهم مع انقداح في النفس يوجب استغرابه، يقف عند ذلك الشارح وييسر تلك الصعوبة ويحل كل غموض»(٢).

وعلى ذلك فالمقصود بتوجيه المتشابه اللفظي: بيان علل تكرار المتشابهات، وعلل وجوه الاختلاف بينها. أو هو البحث في أسرار التشابه اللفظي في القرآن والوقوف على وجوه معانيه في منازله المختلفة(٣).

هذا وبالنظر فيما قام به العلماء من توجيه لآيات التشابه اللفظي في القرآن الكريم – سواء في كتب التفسير أو في كتب التوجيه المستقلة – نجد أنهم سلطوا الضوء على مواضع التشابه اللفظي، وبينوا أسرار الاختلاف بينها، وذلك من خلال عدة طرق يمكن بيانها على النحو الآتي:

١–التوجيه بالنظر إلى تنوع الأحوال والظروف:

وهذا مسلك اعتمده كثير من العلماء، والمقصود به: لفت الانتباه إلى أن الآيات المتشابهة في ألفاظها، والتي تتحدث عن موضوع واحد يكون

---

(١) التعريفات للجرجاني (ص ٦٩)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٠٣هـ.

(٢) توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرا وإعرابا. ت د : عبد العزيز الحربي (ص ٦٢) جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين ١٤١٧هـ.

(٣) توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين (ص ٤٢).

الهدف من تنويع عرضها أن يبرز كل موضع حالة معينة أو ظرفا خاصا لهذا الموضوع المتحدث عنه، ومن الأمثلة الدالة على ذلك:

أ – قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٢٢ ﴾ [يوسف: ٢٢] فحذف هنا جملة (واستوى) التي وردت في آية مشابهة في سورة القصص في خبر موسى عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٤ ﴾ [القصص: ١٤] فهنا نلحظ أن الاختلاف بين الموضعين يرجع إلى اختلاف الأحوال، فسيدنا يوسف أعلم بما يراد منه قبل بلوغ الأربعين، حيث رأى الكواكب في الرؤيا، وأتاه الوحي في الجب، وألهمه الله علم التأويل، في حين أن سيدنا موسى لم يعلم المراد منه إلا بعد أن استأجره شعيب عليه السلام، فناسب ذلك أن يأتي لفظ استوى مع سيدنا موسى، يقول الخطيب الإسكافي: « والذي يفرق بين المكانين حتى لم ينتظر بيوسف عليه السلام الاستواء بعد بلوغ الأشد هو أن يوسف عليه السلام أخبر الله تعالى أنه أوحى إليه لما طرحه إخوته في الجب حيث قال: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾ [يوسف: ١٥] وأراه عزوجل الرؤيا التي قصها على أبيه، وموسى عليه السلام لم يفعل به شيء من ذلك إلى أن بلغ الأشد واستوى، لأنه لم يعلم ما أريد به إلا بعد أن استأجره شعيب عليه السلام، ومضت سنو إجازته وسار بأهله، فهناك آتاه ما آتاه من كرامة الله تعالى وقيل: إنه بعد الأربعين، فلم ينتظر بيوسف في إيتاء الحكم والعلم والتشريف بالوحي ما انتظر به

موسى»[1].

ب – قوله تعالى في سورة الحديد: ﴿ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝٢ ﴾ [الحديد: ٢]، وقال بعدها بآيتين: ﴿ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥ ﴾ [الحديد: ٥]، يقول الخطيب الإسكافي: « للسائل أن يسأل عن إعادة هذه اللفظة في المكان القريب من الأولى وصلتها في الأولى بقوله: ﴿ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ ﴾ ثم صلتها في الأخرى بقوله: ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ ؟.

والجواب أن يقال: إن المعنى: له الملك أولا وآخرا، فالأول في الدنيا، وهو وقت الإحياء والإماتة والآخر في الآخرة حين ترجع الأمور إليه، ولا يملك أحد سواه»[2].

فهنا نلحظ أن التوجيه قائم على مراعاة اختلاف الظرف الزماني لموضعي التشابه.

٢–التوجيه بالنظر إلى تنوع الاعتبارات:

ففي أحيان كثيرة يرجع سر الاختلاف بين مواضع التشابه إلى تنوع الاعتبارات، وذلك كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝١٢٩ ﴾ [البقرة: ١٢٩] فأخر هنا ذكر التزكية عن تعليم الكتاب والحكمة، وفي موضع آخر في سورة البقرة قدم الحق سبحانه وتعالى ذكر التزكية فقال: ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ

(١) درة التنزيل (٢/٧٩٨).

(٢) المرجع السابق (١/١٢٥٣).

يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقد ذكر الإمام الآلوسي في توجيه هذا الموضع ما يشير إلى أن سر الاختلاف في التقديم والتأخير يرجع إلى اختلاف الاعتبار، فتقديم التزكية باعتبار أنها المقصد والغرض، وتأخيرها باعتبار أنها نتيجة لتعليم الكتاب والحكمة، يقول رحمه الله: « وقيل قدمت التزكية تارة وأخرت أخرى لأنها علة غائية لتعليم الكتاب والحكمة، وهي مقدمة في القصد والتصور مؤخرة في الوجود والعمل فقدمت وأخرت رعاية لكل منهما»[(١)].

٣-التوجيه بالنظر إلى مراعاة اختلاف الأفراد المقصودين بالآية:

وذلك كما في قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٩ ﴾ [المائدة: ٩] حيث ورد اللفظ باللام في قوله (لهم) بينما جاء في آخر سورة الفتح بـ (منهم) يقول تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٩] فقد وجه ابن الزبير هذا التشابه اللفظي معتمدا على اختلاف الأشخاص المقصودين في موضعي التشابه، فهو يرى أن آية المائدة في المؤمنين الصادقين وحدهم دون المنافقين، وعليه لم تكن هناك حاجة إلى تخصيصهم بحرف الجر (من)، أما آية الفتح فهي في الصحابة عموما، وكان من جملة من صحبه منافقون، فقال (منهم) لتمييز المؤمنين من المنافقين[(٢)].

(١) روح المعاني للآلوسي (٤١٧/١)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.

(٢) ملاك التأويل (١٢٠/١ – ١٢١).

ومن ذلك أيضا: قوله تعالى في سورة هود: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [هود: ٢٢]، وقال في سورة النحل: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [النحل: ١٠٩]، فهنا نلاحظ اختلاف صيغة الخسران في الموضعين، وقد وجه الخطيب الإسكافي ذلك ببيان أن آية هود في من صدوا عن سبيل الله وصدوا غيرهم، بينما آية النحل في من صُدَّ هو ولم يصد غيره، فكان الصنف الأول أخسر من الثاني، يقول رحمه الله: « إن الآية التي في سورة هود قد تقدمها قوله: ﴿ ... وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ ﴾ [هود: ٢٠] وإنما قال: ﴿ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ ﴾ لأنه خبر عن قوم أخبر عنهم بالفعل الذي استحقوا به مضاعفة العذاب في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [هود: ١٩] فإذا صدوا هم عن الدين صدودا، وصدوا غيرهم عنه صدا استحقوا تضعيف العذاب، لأنهم ضلوا وأضلوا، فهذا لـ (الأخسرين) دون (الخاسرين) من طريق المعنى ... وأما التي في سورة النحل فإنها في آية لم يخبر فيها عن الكفار بأنهم مع ضلالهم أضلوا من سواهم، وإنما قال فيهم: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النحل: ١٠٧] فلم يذكر ما يوجب مضاعفة العذاب»[1].

(١) درة التنزيل (٢/٧٥٣ – ٧٥٥).

٤- التوجيه بالنظر إلى مراعاة الموافقة المعنوية للسياق:

فالترابط المعنوي بين الآيات هو الأساس المتين الذي بنى عليه العلماء توجيههم لمواضع التشابه اللفظي، وبيان أسرار الاختلاف بينها، حيث إن الاختلاف في الغالب يرجع إلى ملاءمة كل موضع من مواضع التشابه للسياق الذي ورد فيه، والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها:

- قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال في سورة غافر: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ [غافر: ٦٢].

والسؤال: ما سر تقديم كلمة التوحيد (لا إله إلا هو) على (خالق كل شيء) في آية الأنعام وعكس ذلك في آية غافر؟.

وبالنظر فيما ذكره علماء التوجيه نجد أنهم اعتمدوا على السياق في بيان سر الاختلاف بين الموضعين، فآية الأنعام تقدمها زعم المشركين وجود شريك لله، وادعاؤهم أن له صاحبة وولدا، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٠٠ - ١٠١]، فكان الأنسب تقديم كلمة التوحيد (لا إله إلا هو)، أما آية غافر، فقد سبقها تعداد نعم الله على عباده، وبيان جملة من آيات قدرته في الخلق، قال تعالى: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر: ٥٧] إلى أن قال: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ٦١ ﴾ [غافر: ٦١]، فكان المناسب هنا تقديم الخلق على كلمة التوحيد، يقول د / عبد العظيم المطعني في توجيه الآيتين: « والتوجيه هنا سهل ميسور، إذ المقام في غافر مقام تعدد وتذكر بنعم الله فناسب ذلك تقديم: (خالق كل شيء)، والمقام في الأنعام مقام يزعم فيه المشركون تعدد الآلهة حيث جعلوا له شركاء الجن. فقدمت: (لا إله إلا هو). لأن فيها نصا على نفى التعدد المزعوم»(١).

٥-التوجيه بالنظر إلى اختلاف مرجع الضمير:

وذلك كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ قَالَ فِرۡعَوۡنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ ﴾ [الأعراف: ١٢٣] فالضمير في (به) مجرور بالباء، وقال في سورة الشعراء: ﴿ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ ﴾ [الشعراء: ٤٩] فالضمير في (له) مجرور باللام، فما وجه الاختلاف بين الموضعين؟

يرى الخطيب الإسكافي أن السر في ذلك يرجع إلى اختلاف مرجع الضمير، فالضمير في آمنتم به يعود إلى رب العالمين، لأنه تعالى حكى عنهم أنهم: ﴿ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٢١ ﴾ [الأعراف: ١٢١] وهو الذي دعا إليه موسى عليه السلام، وأما الهاء في قوله (آمنتم له) تعود إلى موسى عليه السلام، والدليل على ذلك أنه جاء في السورتين بعدها: ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي

(١) خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. ت د / عبد العظيم المطعني (١٥٨/٢)، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى ١٤١٣هـ.

عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَۖ... ﴾ [طه: ٧١]، الشعراء: ٤٩ فالهاء في (إنه) هي التي في (آمنتم له) فلا خلاف أن هذه لموسى عليه السلام[١].

وقد اتفق د / السامرائي مع رأي الخطيب الإسكافي، وأكده بقوله: « إذا رأيت الإيمان معدى باللام فاعلم أنه لغير الله، فإنه لا يعديه مع الله إلا بالباء نحو قوله: ﴿ حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ ﴾ [الممتحنة: ٤]، وقوله: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٢١]، وفي القرآن عدي آمنا باللام مع الأشخاص غالبا، وذلك نحو قوله: ﴿ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً ﴾ [البقرة: ٥٥]، وقوله: ﴿ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤۡمِنُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٦١] وربما استعمله مع غير الأشخاص نادراً، وذلك نحو قوله: ﴿ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ ﴾ [الإسراء: ٩٣]» [٢].

٦-التوجيه بالنظر إلى مراعاة التناسب اللفظي:

والمقصود بذلك: إرجاع أسرار التشابه وأوجه الاختلاف إلى النواحي اللفظية والشكلية لا المعنوية.

هذا وبالنظر في كتب توجيه المتشابه نجد توسعا ملحوظا في استخدام هذه الطريقة في صور وأشكال متنوعة:

أولها: مراعاة الموافقة اللفظية للسياق: والمقصود بذلك: مراعاة التلاؤم اللفظي بين الكلمات المتجاورة، وهذا مسلك اعتمده العرب في كلامهم « فالعرب تراعى مجاورة الألفاظ فتحمل اللفظ على مجاوره لمجرد

(١) درة التنزيل (٢/٦٧٠ - ٦٧١).

(٢) أسئلة بيانية في القرآن الكريم للدكتور : فاضل السامرائي (ص ٧٥)، مكتبة الصحابة – الإمارات.

المضارعة اللفظية وإن اختلف المعنى، ومنه الاتباع في ينوؤك ويسوؤك، قال سيبويه رحمه الله وقد ذكر بعض ما تتبع فيه العرب وتحمل اللفظ على ما قرن به لو أفرد عنه لم ينطق به كذلك، فقال: كما أن ينوؤك يتبع يسوؤك يريد أنك تقول: ينيئك بضم الياء وكسر النون متعديا على مثال يزيلك وزنا وتعدية إلى المفعول، فإذا ذكرته بعد يسوؤك أتبعته إياه فقلت يسوؤك وينوؤك مع اختلاف المعنى فهم فيما اتفق معناه من هذا أحرى أن يفعلوا فيه ذلك»[1].

ومن مواضع التشابه التي روعي في توجيهها الموافقة اللفظية للسياق: ما جاء في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٢]. فقد ورد لفظ (يتضرعون) بدون إدغام لتاء الافتعال في الضاد، بينما جاء الفعل في آية سورة الأعراف مدغما، فقال تعالى: ﴿ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٤]. وقد تناول ابن الزبير الغرناطي هذا الموضع، وذكر أن سبب فك الإدغام في سورة الأنعام هو موافقة ما بعدها لفظا، وهو قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ [الأنعام: ٤٣] ومن المعلوم أن مستقبل (تضرعوا) هو (يتضرعون)، يقول ابن الزبير: « وماضي الفعل من الضراعة لا إدغام فيه إنما تقول تضرع إذ لا حرف مضارعة فيه يسوغ الإدغام، فلما ورد الماضي فيما بني علي آية الأنعام من قوله: «فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا» ولا إدغام فيه لما ذكرنا ورد الأول مفكوكا غير مدغم فقيل يتضرعون رعيا للمناسبة، أما آية الأعراف فلم يرد فيها ما

(١) ملاك التأويل (١/١٦١).

يستدعى هذه المناسبة فجاء مدغما على الوجه الأخف إذ لا داعى لخلافه. والله أعلم»[١].

ثانيها: مراعاة التناسب اللفظي مع الفواصل القرآنية: والفواصل: جمع فاصلة وهي كلمة آخر الآية، « والفاصلة القرآنية قد تكون كلمة من بنية آية قصيرة، وقد تكون كلمة من بنية جملة تأتي في نهاية الآية معقبة أو مقررة أو مؤكدة ... الخ، وهي في كل الحالات تنتهي بصوت قد يتكرر محدثا إيقاعا في صورة السجع وقد لا يتكرر، ولكنها دائما تحتفظ بإحدى صور التوافق الصوتي مع الفواصل السابقة واللاحقة لإحداث الإيقاع، كأن تكون الكلمتين على زنة واحدة أو من فصيلة صرفية واحدة أو غير ذلك»[٢].

والفاصلة القرآنية لها أثر كبير في علم المتشابه اللفظي، فمن الأسس التي بنيت عليها عملية التوجيه مراعاة ملاءمة كل موضع من مواضع التشابه لفواصل السورة التي ورد فيها.

وذلك كما في قوله تعالى في سورة النساء: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء: ٤١] حيث تقدم اسم الإشارة المجرور بـ (على) على شهيدا، بينما جاء في سورة النحل عكس ذلك، فقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ ﴾ [النحل: ٨٩].

وقد تناول ابن الزبير الغرناطي هذا الموضع، وذكر فيه توجيهين، اعتمد في الثاني على مراعاة الفاصلة، فقال: « قوله تعالى (شهيدا) في آية

(١) ملاك التأويل (١/١٦١).

(٢) توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند المفسرين (ص ١٤٤ – ١٤٥).

النحل لم يقع في الفواصل بل أثنائها وتأمل ذلك من لدن قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴾ إلى قوله ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٨]، ثم قال: ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ مُسَخَّرَٰتٖ فِي جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُۚ ﴾ إلى قوله ﴿ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴾ [النحل: ٧٩]. واستمرار الآيات على ذلك إلى آخر السورة ولم يتخلل فيما اكتنف الآية قبلها وبعدها فيما قرب منها غير ذلك، فقد تقررت فواصل هذه الآي من سورة النحل.

أما آية النساء فبناء نظمها على فواصل روعي فيها مجيء المنون المنصوب من غير التزام حرف بعينه واستمرت الآي قبلها على ذلك.

وقوله ﴿ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ﴾ فاصلة استدعى ورودها على ذلك ما تقدمها من الفواصل وما تأخر عنها وانتظم ذلك على أعلى نظام وأجل مناسبة ولم يكن عكس الوارد في الآيتين ليناسب والله أعلم»[(١)].

هذا ومع تقريرنا لأهمية مراعاة الفواصل في توجيه المتشابه اللفظي إلا أنه ينبغي التنبيه على أن « القرآن الكريم لا يعني بالفاصلة على حساب المعنى ولا على حساب مقتضى الحال والسياق، بل هو يحسب لكل ذلك حسابه، فهو يختار الفاصلة مراعىً فيها المعنى والسياق والجرس ومراعىً فيها خواتم الآي وجو السورة ومراعىً فيها كل الأمور التعبيرية والفنية الأخرى»[(٢)]. « ولو كان البيان القرآني يهتم بالفاصلة فقط، لما عدل عن

(١) ملاك التأويل (١/١٠٤).

(٢) أسرار البيان في التعبير القرآني. د: فاضل السامرائي (ص ٢٤١)، ط: دار عمار – الأردن.

رعاية الفاصلة في آخر سورة الضحى: ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١ ﴾ [الضحى: ٩ – ١١]. وليس في السورة كلها ثاء فاصلة، بل ليس فيها حرف الثاء على الإطلاق، ولم يقل تعالى: فخبر، لتتفق الفواصل على مذهب أصحاب الصنعة ومن يتعلقون به»[(١)].

ثالثها: مراعاة خفة اللفظ وعدم الثقل في النطق:

فمن القواعد المقررة في علم البلاغة أن من علامات فصاحة الكلام خلوصه من التنافر الذي تكون الكلمة بسببه ثقيلة على اللسان.

وعلى ذلك ووفقا لهذه القاعدة قام العلماء بتوجيه مواضع التشابه اللفظي بما يتلاءم مع فصاحة الكلام وسهولة جريانه على الألسن، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ۝٩٧ ﴾ [الكهف: ٩٧]، فقد نظر الخطيب الإسكافي للآية من ناحية اللفظ، فلفظة (استطاعوا) الثانية في آية ٧٩ تعدت إلى اسم وهو (نقبا) وهذا أخف فجاءت تامة، أما اللفظة الأولى في الآية (اسطاعوا) فتعدت إلى أن وما دخلت عليه (أن يظهروه) من فعل وفاعل ومفعول وهذا أثقل، فناسب أن يخفف الفعل بحذف التاء، يقول الإسكافي: « والجواب: أن يقال: إن الثانية تعدت إلى اسم، وهو قوله عزوجل: (نقباً) فخف متعلقها فاحتملت بأن يتم لفظها، فأما الأولى فإنها تعلق مكان مفعولها بـ "أن" والفعل بعدها، وهي أربعة أشياء: أن، والفعل، والفاعل، والمفعول الذي هو الهاء، فثقل لفظ "استطاعوا" وكان يجوز تحقيقه حيث لا يقارنه ما يزيده ثقلا، فلما اجتمع

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم. د: عائشة عبد الرحمن (٣٥/١)، ط: دار المعارف – القاهرة.

الثقلان، واحتمل الأول التخفيف ألزم في الأول دون الثاني الذي خف متعلقه»[1].

رابعها: مناسبة الإيجاز للإيجاز، والإطناب للإطناب:

والمقصود بذلك: أن الإيجاز في عدد حروف الكلمة أو في عدد الكلمات بالنسبة للتراكيب أو في غير ذلك، والاختصار في ذلك والإجمال في معناه مناسب للسياق المختصر الموجز، كما أن اختيار الكلمات الأكثر حروفا والتطويل والإسهال في الألفاظ وإشباع المعنى مناسب لمقام البيان والشرح والتفصيل والإطناب[2].

ومن ذلك: قوله تعالى في سورة مريم: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠ ﴾ [مريم: ٦٠]، وفي الفرقان: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ ﴾ [الفرقان: ٧٠]، ففي الأولى حذف (عملا) وفي الثانية ذكرها، وقد وجه الكرماني ذلك بأن سورة مريم بنيت على الإيجاز فلم يفصل فيها ذكر المعاصي، وإنما اكتفى بقوله: ﴿ ۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيّٗا ٥٩ ﴾ [مريم: ٥٩]. أما آية الفرقان ففيها تفصيل، حيث يقول تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ٦٨ ﴾ [الفرقان: ٦٨]، وعلى ذلك ناسب الإيجاز الوارد في سورة مريم حذف لفظة (عملا)، وناسب الإطناب

(١) درة التنزيل (٨٨٣/١).

(٢) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه (ص ٢٠٩).

الوارد في سورة الفرقان ذكرها، يقول الكرماني: « لأنه في هذه السورة أوجز في ذكر المعاصي فأوجز في التوبة وأطال هناك فأطال»[١].

تعقيب:

هذا ومع اعتماد العلماء لطريقة التناسب اللفظي في التوجيه وبيان أسرار الاختلاف بين مواضع التشابه إلا أنه لا يمكن اعتبارها سببا أساسيا في عملية التوجيه، حيث إن الأصل في التوجيه راجع إلى المعنى، أما التناسب اللفظي فيمكن اعتباره قرينة تقوي التوجيه المعنوي، تقول د/ عائشة عبد الرحمن: « فليس من المقبول عندنا أن يقوم البيان القرآني على اعتبار لفظي محض، وإنما المقتضى معنوي بلاغي، يقويه الأداء اللفظي، دون أن يكون الملحظ الشكلي هو الأصل»[٢].

ووفقا لما تقدم كان علماء التوجيه يقررون التوجيه المعنوي أولا، ثم يذكرون بعده التوجيه اللفظي، وقد فعل ذلك الإمام الآلوسي في تناوله لقوله تعالى: ﴿ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ [الأحزاب: ٢٦] حيث بدأ بالتوجيه المعنوي، فقال: « وقدم مفعول تقتلون لأن القتل وقع على الرجال وكانوا مشهورين وكان الاعتناء بحالهم أهم ولم يكن في المأسورين هذا الاعتناء بل الاعتناء هناك بالأسر أشد، ولو قيل: وفريقا تأسرون لربما ظن قبل سماع تأسرون أنه يقال بعد تهزمون: أو نحو ذلك»[٣] ثم ذكر التوجيه اللفظي وهو مراعاة الفواصل، فقال: « وقيل: قدم المفعول في الجملة الأولى لأن مساق الكلام لتفصيله وأخر في الثانية لمراعاة الفواصل»[٤].

---

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن (ص ١٧٣).

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم (٣٥/١).

(٣) روح المعاني (١٧٢/١١).

(٤) المرجع السابق (١٧٢/١١).

٧-التوجيه بالنظر إلى مراعاة ترتيب السور في المصحف:

فمع اختلاف العلماء حول توقيفية ترتيب السور القرآنية إلا أنهم متفقون على احترام هذا الترتيب، ومن هنا اعتمد علماء توجيه المتشابه على ترتيب المصحف في كثير من توجيهاتهم للعديد من المواضع، وقد فصل د/ محمد البركة الكلام على هذا الطريق في التوجيه، وأدرج تحته خمس صور:

الصورة الأولى: اختصاص الموضع الأول بما هو أصل في اللغة، والموضع الثاني بالفرع، والمقصود بالأصل في اللغة: الأكثر استعمالا عند أهل اللغة، والفرع: الأقل.

ومن أمثلة هذه الصورة: توجيه ابن الزبير الغرناطي للاختلاف الواقع بين قوله تعالى في قصة هود: ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ أَلَا بُعۡدٗا لِّعَادٖ قَوۡمِ هُودٖ ٦٠ ﴾ [هود: ٦٠]، وقوله في نفس السورة بعد قصة موسى: ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩ ﴾ [هود: ٩٩] حيث جمع في قصة هود بين اسم الإشارة ولفظ الدنيا الجاري عليه وصفا، واكتفى في قصة موسى باسم الإشارة دون التابع، ووجه ذلك على ما ذكر ابن الزبير أن قوله تعالى في قصة هود: ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ ﴾ ، وارد على الأصل من الجمع بين التابع نعتاً أو عطف بيان وبين متبوعه، وجاء في قصة موسى عليه السلام: ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ ﴾ على حذف الوصف للاكتفاء باسم الإشارة، وكل فصيح، فجيء بما هو في الأصل أولاً، ثم جيء ثانياً بما هو

ثان عنه على ما ينبغي»[١].

الصورة الثانية: الإجمال في الموضع الأول والتفصيل في الموضع الثاني:

وقد أكد ابن الزبير الغرناطي هذا الأمر بقوله: « فإن قلت فما وجه تقديم الموجز على المطول؟ قلت: شبه ذلك بالمجمل من الكلام والمفصل وإنما يريده التفصيل بعد الإجمال فهذا الجواب منزل على الترتيب الثابت، والله سبحانه أعلم بما أراد»[٢].

ومن أمثلة ذلك: توجيه ابن الزبير للاختلاف الوارد بين قوله تعالى: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ [آل عمران: ١١]، وقوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٢]، وقوله: ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٤].

فهنا نلحظ تفصيل العقاب في الموضع الثاني في الأنفال حيث يقول تعالى: ﴿ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ ۚ ﴾ ولم ير هذا التفصيل في الموضعين الآخرين، وقد وجه ابن الزبير ذلك بأن الموضع الثاني في الأنفال هو آخر المواضع التي ذكرت بآل فرعون في تكذيبهم وأخذهم بكفرهم فحسن تفصيل الكلام فيه[٣].

(١) ملاك التأويل (٢/٢٥٨).

(٢) المرجع السابق (١/١٧٩).

(٣) ملاك التأويل (١/٧٩).

الصورة الثالثة: ذكر المتقدم زمنا في الموضع الأول والمتأخر في الثاني:

والتقدم في الزمن يشمل كل شيء تقدم شيئا في وقت حدوثه، ويدخل فيه تقدم السبب على المسبب لكونه أسبق منه في الوقوع، ومن أمثلة ذلك: توجيه الكرماني لقوله تعالى: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [إبراهيم: ١١]، وبعده: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢]، قال: «لأن الإيمان سابق على التوكل»[1].

الصورة الرابعة: الحمل على اللفظ في الموضع الأول وعلى المعنى في الثاني:

وهذه الصورة جارية على القاعدة المقررة عند النحاة، وهي أنه إذا اجتمع في الضمائر مراعاة اللفظ والمعنى بدئ باللفظ ثم بالمعنى، لكن ذلك عندهم في ضمائر السياق الواحد، أما أصحاب توجيه المتشابه فقد توسعوا في ذلك.

ومن ذلك: توجيه ابن الزبير للاختلاف الواقع بين قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ ... أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وقوله في المائدة: ﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا ﴾ [المائدة: ١١٠] قال ابن الزبير: « الجواب عن ذلك والله أعلم: أن الترتيب الذى استقر عليه القرآن في سوره وآياته أصل مراعى وقد تقدم بعض إشارة إلى ذلك ولعلنا سنزيد في بيانه إن شاء الله، وعودة الضمير على اللفظ وما يرجع إليه أولى وعودته على المعنى ثان عن ذلك وكلا التعبيرين عال فصيح فعاد في آية آل عمران على الكاف لأنها تعاقب مثل وهو مذكر فهذا لحظ لفظي، ثم عاد في آية

(١) البرهان في توجيه متشابه القرآن (ص ١٥٤).

المائدة إلى الكاف من حيث هي في المعنى صفة لأن المثل صفة في التقدير المعنوي فحصل مراعاة المعنى ثانيا على ما يجب كما ورد في قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ بعودة الضمير من يقنت مذكرا رعيا للفظ (من)، ثم قال: وتعمل بالتاء رعيا للمعنى وهو كثير وقد بينا أن رعى اللفظ في ذلك هو الأولى فجرى في آية آل عمران على ذلك لأنها متقدمة في الترتيب وجرى في آية المائدة على ما هو ثان إذ هي ثانية في الترتيب وذلك على ما يجب»[١].

الصورة الخامسة: مراعاة موقع السورة في ترتيب المصحف:

والمراد بهذه القاعدة: أن بعض التوجيهات اعتمدت على موقع السورة التي فيها أحد الموضعين المتشابهين، ومراعاة كونها سابقة عليها أو متأخرة عنها، أو مراعاة كون تلك السورة في أول القرآن أو آخره أو السورة العاشرة منه، أو في نصفه الأول أو في نصفه الثاني، أو غير ذلك.

ومن ذلك: تعليل الكرماني للخلاف الواقع بين قوله تعالى: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ﴾ [البقرة: ٢٣]، وفي يونس: ﴿ فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ﴾ [يونس: ٣٨] حيث ذكر (من) في البقرة ولم يذكرها في آية يونس، قال الكرماني في تعليل ذلك: « لأن (من) تدل على التبعيض ولما كانت هذه السورة سنام القرآن وأوله بعد الفاتحة حسن دخول (من) فيها ليعلم أن التحدي واقع على جميع سور القرآن من أوله إلى آخره وغيرها من السور لو دخلها من لكان التحدي واقعا على بعض السور دون بعض ولم يكن ذلك بالسهل»[٢] [١].

(١) ملاك التأويل (١/ ٨٣ – ٨٤).

(٢) البرهان في توجيه متشابه القرآن (ص ٦٩).

٨-التوجيه القائم على مراعاة مناسبة اللفظ للمعنى:

والمراد به أن تكون ألفاظ الكلام ملاءمة للمعنى المراد، فإن كان فخما كانت ألفاظه فخمة أو جزلا فجزلة أو غريبا فغريبة أو متداولا فمتداولة أو متوسطا بين الغرابة والاستعمال فكذلك(٢).

وقد اعتمد العلماء هذا الأمر في توجيههم لمواضع التشابه اللفظي، ومن ذلك: توجيه ابن الزبير لقوله تعالى: ﴿ فَمَا ٱسۡطَٰعُواْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ ﴾ فقد ذكر أن لفظ استطاع هو الأصل، وقد تحذف التاء أو الطاء تخفيفا، فجيء أولا بالفعل مخففا عند إرادة نفي قدرتهم على الظهور على السد والصعود فوقه، ثم جيء بأصل الفعل مستوفى الحروف عند نفي قدرتهم على نقبه وخرقه، ولا شك أن الظهور أيسر من النقب، والنقب أشد عليهم وأثقل، فجيء بالفعل مخففا مع الأخف، وجيء به تاما مستوفى مع الأثقل، فتناسب، ولو قدر بالعكس لما تناسب(٣). فهنا يظهر لنا كيف وافق ابن الزبير بين اللفظ والمعنى فجعل اللفظ الأثقل مع المعنى الأثقل والأخف مع الأخف.

٩-التوجيه بالنظر إلى مراعاة زمن نزول الآيات:

والمقصود بذلك: كون أحد السياقين المتشابهين نازلا قبل السياق الآخر، سواء كانا في سورتين أو في سورة واحدة.

ومن ذلك: ما ذكره ابن الزبير في توجيه الاختلاف الحاصل بين قوله

=

(١) راجع هذه الصور الخمس في كتاب: المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه، د/ محمد البركة (٢٥٥ - ٢٦٤).

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٢٩٩/٣).

(٣) ملاك التأويل (٣٢٣/٢ - ٣٢٤).

تعالى في سورة البقرة: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣ ﴾ [البقرة: ١٧٣]، وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿ حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسۡتَقۡسِمُواْ بِٱلۡأَزۡلَٰمِۚ ذَٰلِكُمۡ فِسۡقٌۗ ﴾ [المائدة: ٣]، ففصل المحرمات في المائدة دون البقرة، وقد وجه ابن الزبير ذلك مراعيا زمن النزول، فقال: « والجواب: أن آية المائدة من آخر ما نزل فورد فيها استيفاء ما حكم سبحانه بتحريمه وإلحاقه بالميتة والدم ولحم الخنزير »(١).

١٠-التوجيه بالنظر إلى اختلاف القائل:

وذلك كما في قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُمۡۖ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ١١٠ ﴾ [الأعراف: ١١٠] فهذه الآية خلت من القيد الوارد في آية الشعراء وهو (بسحره) في قوله تعالى: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ٣٥ ﴾ [الشعراء: ٣٥]، فما سر هذا الاختلاف؟ يبين الخطيب الإسكافي أن السر في ذلك يرجع إلى اختلاف القائل، فآية الأعراف من كلام الملأ – أي الحاشية – أما آية الشعراء فهي من كلام فرعون، ومعلوم أن فرعون كان أشدهم عداءاً لسيدنا موسى، ومن هنا حاول أن ينفرهم بكل السبل فقام باتهام سيدنا موسى

(١) ملاك التأويل (٥٩/١).

بالسحر في قوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾ ثم أصر على تأكيد هذا الاتهام فأعاده في قوله: ﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ ﴾ .

إذا أخذنا هذا في الاعتبار ونظرنا إلى عبارة الملأ في سورة الأعراف سنجد أن الحال مختلف، حيث إنهم لم يبلغوا في عداوة سيدنا موسى ما بلغه فرعون، وبالتالي لم يكونوا بحاجة إلى الإتيان بلفظة بسحره مرة أخرى(١).

المطلب الثاني

أدوات توجيه المتشابه اللفظي

بالنظر في مؤلفات توجيه المتشابه نجد أن الأدوات المستخدمة في عملية التوجيه متنوعة، ويمكن سرد أبرزها فيما يلي:

١-السياق:

والمقصود بالسياق: الغرض الذي تتابع الكلام لأجله مدلولا عليه بلفظ المتكلم أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه أو السامع(٢).

ولاشك أن السياق يعتبر أصلا من أصول علم التفسير، لا غنى للمفسر عنه، لما له من أثر ظاهر في فهم كلام الله تعالى، وبيان المعنى الصحيح للآية القرآنية.

يقول الزركشي: « دلالة السياق فإنها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ

(١) درة التنزيل (٢/٦٥١ - ٦٥٢).

(٢) دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام (ص ٢٦ - ٢٧) رسالة ماجستير للباحث/ فهد بن شتوي، جامعة أم القرى - الرقم الجامعي ٤٠٢٣٨٠٢٩٧.

ٱلْكَرِيمُ ﴾ [الدخان: ٤٩] كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير»[١].

هذا ويعتبر السياق الأداة الأبرز التي اعتمد عليها العلماء في توجيههم للمتشابه اللفظي، وقد برز ذلك في عدة صور، أذكرها على النحو الآتي:

أ – **الاعتماد على السياق في إدراك سر التقديم والتأخير**: ومن ذلك توجيه الخطيب الإسكافي للاختلاف بين قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١]، وقوله تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ﴾ [الإسراء: ٣١]، فهنا نلاحظ أنه قدم الضمير العائد على الوالدين وأخر ضمير الأولاد في آية الأنعام، وعكس ذلك في آية الإسراء، وقد بين الخطيب الإسكافي السر في ذلك معتمدا على السياق فقال: « فأما قوله في سورة الأنعام: ﴿ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ فلأن قبله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ﴾ أي: من أجل إملاق وانقطاع مال وزاد، وهذا نهي عن قتلهم مع فقرهم وخوفهم على أنفسهم إذا لزمتهم مؤونة غيرهم، فكأنه قال: الذي يدعوكم إليه من حالكم في أنفسكم ثم في غيركم لا يجب أن تشفقوا منه فإني أرزقكم وإياهم.

وأما الآية الثانية فإنه قال فيها: ﴿ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ﴾ والإملاق غير واقع، فكأنه قال: خوف الفقر على الأولاد، وكان عقب هذا إزالة الخوف

(١) البرهان في علوم القرآن (٢/٢٠٠ – ٢٠١).

عنهم، ثم عن القاتلين، أي: لا تقتلوهم لما تخشون عليهم من الفقر، فالله يرزقهم وإياكم، فقدم في كل موضع من الموضعين ما اقتضى تقديمه، وأخر ما اقتضى الموضع تأخيره والله أعلم»(١).

ب – الاعتماد على السياق في إدراك سر تردد الفعل بين البناء للمعلوم والبناء لما لم يسم فاعله:

وذلك كقوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا ﴾ فأتى هنا بالفعل (قلنا) مبنيا للمعلوم بينما أورده في سورة الأعراف مبنيا لما لم يسم فاعله في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾ [الأعراف: ١٦١] وقد أوضح الإمام الرازي سر الاختلاف معتمدا على السياق فقال: « الجواب أن الله تعالى صرح في أول القرآن بأن قائل هذا القول هو الله تعالى إزالة للإبهام ولأنه ذكر في أول الكلام: ﴿ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٠] ثم أخذ يعدد [نعمه] نعمة نعمة، فاللائق بهذا المقام أن يقول: وإذ قلنا أما في سورة الأعراف فلا يبقى في قوله تعالى: وإذ قيل لهم إبهام بعد تقديم التصريح به في سورة البقرة»(٢).

ج – الاعتماد على السياق في بيان سرد تردد اللفظ بين الذكر والحذف:

ومن ذلك توجيه ابن الزبير الغرناطي للاختلاف بين قوله تعالى في سروة الأنعام: ﴿ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الأنعام: ٩٤] فقد زاد في الآية كلمة فرادى بينما حذفت من آية سورة الكهف، يقول

(١) درة التنزيل (٥٦٢/٢ – ٥٦٣).

(٢) مفاتيح الغيب للرازي (٥٢٦/٣)، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، : الثانية ١٤٢٠هـ.

الله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ [الكهف: ٤٨]، وقد بين ابن الزبير سر الاختلاف معتمدا على السياق، فقال: « الجواب والله أعلم: أن ذلك مراعى فيه في آية الأنعام ما أعقبت به من قوله: (وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم) أي ما أعطيناكم في الدنيا مما شغلكم عن آخرتكم، ثم قال: (وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء) أي منفردين عما كنتم تؤملون من أندادكم ومعبوداتكم من دونه سبحانه، فلرعى هذا المعقب به في آية الأنعام ما قيل فيها: (ولقد جئتمونا فرادى).

أما آية الكهف فقبلها قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الكهف: ٤٧]، ثم قال: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ﴾ مجردين عن كل متعلق.

ولم يقع هنا ذكر ولا إشارة إلى ما عبد من دون الله فلهذا لم يقع هنا (فرادى) وذلك بين التناسب»[1].

د – الاعتماد على السياق في بيان سر التعاقب بين الكلمات:

وذلك كما في قوله تعالى في سورة الشعراء: ﴿ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾ [الشعراء: ٥]، فقد ورد هنا لفظ الرحمن بينما جاء لفظ الرب في سورة الأنبياء في قوله تعالى: ﴿ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢]، وقد اعتمد الطاهر بن عاشور على السياق في بيان وجه

(١) ملاك التأويل (١/١٦٤).

الاختلاف بين الموضعين، فقال: « وذكر اسم الرحمن هنا دون وصف الرب كما في سورة الأنبياء لأن السياق هنا لتسلية النبي ﷺ على إعراض قومه فكان في وصف مؤتي الذكر بالرحمن تشنيع لحال المعرضين وتعريض لغباوتهم أن يعرضوا عما هو رحمة لهم، فإذا كانوا لا يدركون صلاحهم فلا تذهب نفسك حسرات على قوم أضاعوا نفعهم وأنت قد أرشدتهم إليه وذكرتهم»(١).

هـ – الاعتماد على السياق في بيان سر تردد اللفظة بين الإظهار والإضمار:

ومن ذلك توجيه الإمام الرازي للاختلاف بين قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوۡمٖ لَّا رَيۡبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝٩ ﴾ [آل عمران: ٩]، وقوله تعالى في نفس السورة: ﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝١٩٤ ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فأظهر لفظ الجلالة في الموضع الأول وأضمره في الموضع الثاني، وقد بين الإمام الرازي السر في ذلك معتمدا على السياق فقال: « الفرق والله أعلم أن هذه الآية في مقام الهيبة، يعني أن الإلهية تقتضي الحشر والنشر لينتصف المظلومين من الظالمين، فكان ذكره باسمه الأعظم أولى في هذا المقام، أما قوله في آخر السورة ﴿ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ۝١٩٤ ﴾ [آل عمران: ١٩٤] فذاك المقام مقام طلب العبد من ربه أن ينعم عليه بفضله، وأن يتجاوز عن سيئاته فلم يكن المقام مقام الهيبة، فلا جرم قال: إنك لا تخلف الميعاد»(٢).

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور (٩٨/١٩)، ط: الدار التونسية – تونس ١٩٨٤م.
(٢) مفاتيح الغيب (١٥١/٧).

٢-اللغة:

لاشك أن هناك ارتباطا وثيقا بين علم المتشابه اللفظي وعلوم اللغة العربية، والمقصود بعلوم اللغة: علم متن اللغة ودلالات الألفاظ والفروق الدقيقة بينها، وعلم النحو، وعلم الصرف، وعلم البلاغة، فاللغة كان لها دور بارز في توجيه المتشابه اللفظي، ويشهد لذلك تعدد القواعد اللغوية التي اعتمد عليها العلماء في عملية التوجيه، ومن تلك القواعد:

أ – دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد: والمقصود بذلك – كما يقول الجرجاني – أن موضوع الاسم على أن يثبت به المعنى للشيء من غير أن يقتضي تجدده شيئا بعد شيء(١).

فالثبوت مراد به اللزوم والدوام والاستمرار، والتجدد مراد به الحدوث وتكرار الحصول، وقد اعتمد العلماء على هذه القاعدة كثيرا في توجيه المتشابه اللفظي، ومن ذلك توجيه ابن الزبير الغرناطي للاختلاف الوارد بين قوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١٧]، وقوله تعالى في سورة القصص: ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾ [القصص: ٥٩]، فقد جاء في آية هود بالفعل (ليهلك)، وجاء في آية القصص بالاسم (مهلك)، وقد بين ابن الزبير سر الاختلاف فقال: « والجواب أن آية هود تقدمها قوله تعالى: ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ﴾ [هود: ١١٦]، أي فهلا كان منهم خيار وينهون عن الفساد والظلم، فلو كان منهم ذلك لما

(١) دلائل الإعجاز للجرجاني (١/١٧٤)، ط: مطبعة المدني بالقاهرة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ.

هلكوا: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ [هود: ١١٧]، أي ما كان ليفعل بهم وإن وقع منهم ظلم ذلك كان فيهم مغير للظلم وناه عن الفساد ولكنهم كانوا كما أخبر تعالى عن المعتدين من بني إسرائيل في قوله تعالى عنهم: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾ [المائدة: ٧٩]، وجيء بالفعل في قوله: (ليهلك) إشارة إلى التكرر بحسب ما يكون منهم، فلو كان في كل أمة وقرن بعد قرن من ينهي عن الفساد والظلم لما أخذ بذوي الظلم منهم ولكان تعالى يدفع بعضهم عن بعض، ولكن تكرر الفساد وعم كل قرن فتكرر عليهم الجزاء والأخذ، فأشار الفعل إلى التكرر ولم يكن الاسم ليعطي ذلك، وهذا كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾ [الملك: ١٩] ولم يقل: وقابضات لما قصده من معنى التكرر، وأما قوله في سورة القصص: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا ... ﴾ [القصص: ٥٩] فإنه تقدم هذا في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ﴾ [القصص: ٥١] أي أتبعنا ووليا التذكار، ويشهد قوله تعالى: ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء: ١٥]، فلما أعلم سبحانه تتابع التذكار وتعاقب الإنظار قال: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾ [القصص: ٥٩]، وناسب هذا ذكر اسم الفاعل لأنه قصد ذكر الاتصاف بهذا ولم يقصد التكرر ولم يكن حاصله»[1].

(١) ملاك التأويل (٢/٢٦٤ – ٢٦٥).

ب – مراعاة الفروق الدلالية بين الألفاظ المتقاربة:

والمقصود بالألفاظ المتقاربة: الألفاظ التي تشترك في المعنى العام مع وجود فروق دقيقة بينها. وهذه القاعدة كان لها أهمية كبيرة في توجيه آيات المتشابه التي كان يتوهم وجود ترادف في المعنى بين ألفاظها، إلا أنه بالنظر الدقيق تبين وجود فوارق دقيقة بين معاني تلك الألفاظ، الأمر الذي كشف عن بلاغة القرآن الكريم في استعمال كل لفظ بمعناه الدقيق في الموضع الذي يناسبه، ومن أمثلة ذلك:

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾ [البقرة: ٦٠]، وقال في سورة الأعراف: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ ﴾ [الأعراف: ١٦٠] فعبر بقوله (فانفجرت) في البقرة، وبقوله: (فانبجست) في الأعراف، فما الحكمة من ذلك؟.

يجيب ابن الزبير بقوله: « والجواب والله أعلم ان الفعلين وان اجتمعا في المعنى فليسا على حد سواء، بل الانبجاس ابتداء الانفجار، والانفجار بعده غاية له ... وإذا تقرر هذا فأقول أن الواقع في الأعراف طلب بنى إسرائيل من موسى عليه السلام السقيا، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ ﴾ والوارد في سورة البقرة طلب موسى عليه السلام من ربه، قال تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾ فطلبهم ابتداء فناسبه الابتداء، وطلب موسى عليه السلام غاية لطلبهم لأنه واقع بعده ومرتب عليه فناسب الابتداء الابتداء والغاية الغاية، فقيل جوابا لطلبهم: "فانبجست" وقيل إجابة لطلبه:

(فانفجرت) وتناسب ذلك وجاء على ما يجب ولم يكن ليناسب العكس. والله أعلم»[1].

ج – التأكيد إنما يكون للشاك أو المنكر:

فمن القواعد البلاغية المقررة عند علماء البلاغة أن تأكيد الخبر إنما يكون في حالة الشك أو الإنكار[2]. وتبعا لذلك تم توجيه بعض مواضع المتشابه اللفظي، ومن ذلك: ما ورد في قوله تعالى في سورة طه: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ [طه: ١٥] فقد خلا خبر إن من التأكيد باللام بينما ورد التأكيد بها في قوله تعالى في سورة الحجر: ﴿ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقوله في سورة غافر: ﴿ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا ﴾ [غافر: ٥٩]، وقد وجه الخطيب الإسكافي ذلك بالإشارة إلى أن التأكيد إنما ورد في سياق توجيه الخطاب للمنكرين للبعث، فناسب تأكيد الكلام لهم، وهذا بخلاف ما ورد في سورة طه فلم يكن ثم إنكار، وبالتالي خلا الكلام من التأكيد.

يقول الخطيب الإسكافي: « إن اللام التي تقع في خبر "إن" أو اسمها إذا حلت محل الخبر تؤكد الكلام والعرب تحرض على التوكيد في موضعه، وتركه في غير موضعه، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٌۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ ﴾ ، وقال قبل الآية في سورة المؤمن:

(١) ملاك التأويل (١/٤٠).

(٢) البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين (ص ١٥٤)، ط: مكتبة الآداب – القاهرة.

﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ والمعنى: أن القادر على خلق السموات والأرض قادر على خلق الناس، ومن قدر على خلق الناس أولا قادر على خلقهم ثانيا، وهذان من مواضع التوكيد، وتحقيق الخبر أن الساعة حق وأنها آتية لا ريب فيها، والخطاب لقوم كفار ينكرونها.

والتي في سورة طه خطاب لموسى عليه السلام، وهى في ضمن كلام الله تعالى له: ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ﴾ ، وقال: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا ﴾ ولم يكن موسى عليه الصلاة والسلام ممن ينكر ذلك فيؤكد الكلام عليه توكيده على منكريه والجاحدين له»[(١)].

د – زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى:

والمقصود بذلك: أن الزيادة التي تكون في أحد السياقين المتشابهين دون السياق الآخر دليل على حصول معنى زائد في ذلك السياق لا يوجد في السياق الآخر الخالي من تلك الزيادة، وهذه الزيادة التي تكون في أحد السياقين تشمل الزيادة في بنية الكلمة بالتضعيف أو غيره، وكذلك زيادة حرف أو كلمة أو أكثر غير موجودة في السياق الآخر[(٢)].

يقول الزركشي: « واعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه فلا بد أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا لأن الألفاظ أدلة على المعاني فإذا زيدت في الألفاظ وجب زيادة المعاني ضرورة.

---

(١) درة التنزيل (١/١٢٥ – ١٢٧).

(٢) المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه (ص ٢٢٧).

ومنه قوله تعالى: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [القمر: ٤٢]، فهو أبلغ من [قادر] لدلالته على أنه قادر متمكن القدرة لا يرد شيء عن اقتضاء قدرته ويسمى هذا قوة اللفظ لقوة المعنى»(١).

ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿ فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ [البقرة: ٣٨]، وقوله في سورة طه: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣] فاستعمل صيغة (فَعِلَ) في آية البقرة، وصيغة (افتعل) في آية طه، وقد بين ابن الزبير الغرناطي سر الاختلاف تبعا لقاعدة زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى، فقال: « هنا سؤالان: ما فائدة اختلافهما وما وجه تخصيص كل موضع منهما بما اختص به؟

والجواب عنه والله أعلم: أن تبع واتبع محصلان للمعنى على الوفاء، و"تبع" فعل وهو الأصل و"اتبع" فرع عليه لأنه يزيد عليه وهو منبئ عن زيادة في معنى فعل بمقتضى التضعيف فعلى هذا وبحسب لحظه ورعيه ورد فمن تبع وفمن اتبع وتقدم في الترتيب المتقرر (فمن تبع) لإنبائه عن الاتباع من غير تعمل ولا تكلف ولا مشقة، وأما اتبع فإن هذه البنية أعني بنية افتعل تنبئ عن تعمل وتحميل للنفس فقدم ما لا تعمل فيه وأخر اتبع لما يقتضيه من الزيادة ولم تكن إحدى العبارتين لتعطى المجموع فقدم ما هو أصل وأخر ما هو فرع عن الأول وكلاهما هدى ورحمة وورد كل على ما يناسب ويلائم .... »(٢).

(١) البرهان في علوم القرآن (٣/٣٤).

(٢) ملاك التأويل (١/٣١ – ٣٢).

هـ – حذف اللفظ لوجود ما يدل عليه: وذلك كقوله تعالى في سورة هود: ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ عَادٗا كَفَرُواْ رَبَّهُمۡۗ ﴾ ، ففي هذه الآية جاء ذكر لفظ الدنيا بينما حذفت في آخر السورة، يقول تعالى: ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ بِئۡسَ ٱلرِّفۡدُ ٱلۡمَرۡفُودُ ٩٩ ﴾ ، ففي الآية الأولى جاء ذكر الصفة والموصوف، وفي الثانية حذف الموصوف لدلالة الموضع الأول عليه.

يقول الخطيب الإسكافي: « والجواب أن الأول أتى فيها بالموصوف والصفة جميعا، وهو الأصل الأول، ثم الاكتفاء بالصفة عن الموصوف بعده لقيام الدلالة على الموصوف، فيجوز لذلك حذفه، وإقامة الصفة مقامه.

ولما جاءت الآيتان في سورة واحدة وفيت الأولى ما هو بها أولى من الإجراء على الأصل، والإتيان بالموصوف والوصف فقال تعالى: ﴿ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا ﴾ واكتفى في الثانية لما قامت الدلالة على الموصوف بالصفة وحدها فقال: ﴿ وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِۦ لَعۡنَةٗ ﴾ »[1].

تنبيه: ينبغي أن يعلم أن اللغة والسياق وإن كان كل واحد منهما يعتبر أداة مستقلة في توجيه المتشابه إلا أنه في كثير من الأحيان نجد أنهما لا ينفصلان في عملية التوجيه، وهذا واضح جدا في تعامل العلماء مع العديد من مواضع التشابه اللفظي، ويعتبر ابن الزبير الغرناطي من أبرز العلماء الذين مزجوا في التوجيه بين اللغة والسياق، ومن ذلك: توجيهه للاختلاف الوارد بين قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ [الفاتحة: ٢]، وقول الله تعالى في سورة الجاثية: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ ﴾ [الجاثية:

(١) درة التنزيل (٧٥٩/٢).

٣٦] فبعد أن ذكر المبتدأ والخبر وأحكام التقديم والتأخير المتعلقة بهما بدأ بذكر التوجيه المعنوي المتعلق بالسياق فقال: « أن العوارض الموجبة لتقديم ما مرتبته التأخير وتأخير ما مرتبته التقديم ليست منحصرة في جهة التركيب اللفظي، بل قد يعرض من جهة المعنى.

وتقدير الكلام ما يقتضى ذلك ويوجبه.

وإذا تقرر هذا فنقول: إن قوله تعالى: ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ ﴾ ورد على تقدير الجواب بعد إرغام المكذب وقهره ووقوع الأمر مطابقا لأخبار الرسل عليهم السلام، وظهور ما كذب الجاحد به، فعند وضوح الأمر كأن قد قيل لمن الحمد ومن أهله؟ فكان الجواب على ذلك فقيل: "فلله الحمد"»[(١)].

٣-أسباب النزول:

والمقصود بسبب النزول: ما نزل قرآن بشأنه أيام وقوعه.

والمتتبع لكلام العلماء يجد أن أسباب النزول من أبرز الأدوات التي اعتمدوا عليها في توجيه المتشابه اللفظي، ومن ذلك ما جاء في سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾ [آل عمران: ١٢٦] فأخر الضمير المجرور بالباء على (قلوبكم) بينما ورد تقديمه في سورة الأنفال في قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ﴾ [الأنفال: ١٠] ولقد استفاد د/ محمد فاضل السامرائي من سبب النزول في بيان سر الاختلاف بين الموضعين حيث إنه في غزوة بدر استغاث الرسول ﷺ ومعه المؤمنون بالله وطلبوا منه المدد والنصرة، فنزلت الآية الكريمة مطمئنة لهم[(٢)]، فقال تعالى:

(١) ملاك التأويل (١٢/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر (١٥٦/٥)، ط: دار الطباعة العامرة – تركيا ١٣٣٤هـ.

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ ﴾ وقدم ضمير الإمداد مع عامله على القلوب لاهتمامهم به وشدة حاجتهم إليه في موضع رجائهم، أما آية آل عمران فخلت من ذلك لأنها حكاية لما حدث يوم بدر وتذكير للمؤمنين بما صنع الله معهم واعدا إياهم أن يصنعه معهم في أحد لو صبروا واتقوا، يقول د/ السامرائي: « إنه لما كان المقام في الأنفال مقام الانتصار وإبراز دور الإمداد الرباني قدم (به) على القلوب والضمير يعود على الإمداد. ولما كان المقام في آل عمران هو الطمأنينة وتسكين القلوب قدمها على الإمداد فقال: ﴿ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ ﴾ وزاد كلمة (لكم) فقال: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ ﴾ زيادة في المواساة والمسح على القلوب فجعل كلا في مقامه»[(١)].

٤-المكي والمدني:

فقد كان لمعرفة المكي والمدني أثر في توجيه العلماء لبعض مواضع التشابه اللفظي، ومن ذلك توجيه د/ عبد العظيم المطعني للاختلاف الوارد بين قوله تعالى في سورة آل عمران: ﴿ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ١٨٤ ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، وقوله تعالى في سورة فاطر: ﴿ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ ٢٥ ﴾ [فاطر: ٢٥] حيث حذف حرف الجر في قوله (والزبر والكتاب) في آل عمران بينما أثبت الحرف في آية سورة فاطر، وقد بين د/ المطعني سر الاختلاف مراعيا البعد الزمني، فقال:

(١) أسرار البيان في التعبير القرآني د: السامرائي (ص ٥٤)، والكتاب عبارة عن محاضرة صوتية تم تفريغها.

أولا: إن ذكر الحرف في المواضع الثلاثة – المعطوف عليه، والمعطوفين – جاء في سورة "فاطر" وهي مكية النزول. فهي إذن أسبق وجودا بين الناس بهذا الاعتبار فهي مؤسسة للمعنى الوارد فيها بخلاف ما في "آل عمران"، لأن "آل عمران" مدنية النزول.

ثانيا: إن القوم في مكة يختلف حالهم عن القوم في المدينة من حيث الاستجابة إلى الدعوة والإسراع إلى الإيمان. فأهل مكة أهل عناد وتحد، وأهل المدينة أهل إسلام وطاعة.

ثالثا: هذان الاعتباران يفيدان أن المقام في مكة كان يقتضي التأكيد في المعاني لتقريرها ورسوخها لتتناسب مع حالة الإنكار التي كانوا عليها.

وعلى هذا جاء التعبير في "فاطر" المكية. لأن تكرار حرف الجر في المواضع الثلاثة يشعر بتكرار التعلق، فكأنه قال: جاءوا بالبينات. وجاءوا بالزبر. وجاءوا بالكتاب المنير، وخلا التعبير المدني من هذا التكرار لعدم الحاجة إليه لإسلام أهل المدينة»[1].

٥–قواعد أصول الفقه:

فقد اعتمد العلماء كثيرا على القواعد الأصولية في توجيه المتشابه اللفظي، ومن ذلك مثلا استخدام قاعدة حمل المطلق على المقيد في حال اتحاد الحكم واختلاف السبب[2]، وذلك في توجيه الشنقيطي لقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ ﴾ [النساء: ٩٢] فقيد في هذه الآية الرقبة المتعلقة في كفارة القتل الخطأ

(١) خصائص التعبير القرآني (١٨/٢ – ١٩).

(٢) روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه لابن قدامة (١٠٥/٢)، ط: مؤسسة الريان، ط: الثانية ١٤٢٣هـ.

بالإيمان، وأطلق الرقبة في كفارتي اليمين والظهار، حيث قال في كل منهما: ﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغۡوِ فِيٓ أَيۡمَٰنِكُمۡ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلۡأَيۡمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطۡعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنۡ أَوۡسَطِ مَا تُطۡعِمُونَ أَهۡلِيكُمۡ أَوۡ كِسۡوَتُهُمۡ أَوۡ تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖۖ ﴾ [المائدة: ٨٩]، وقال في سورة المجادلة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمۡ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ مِّن قَبۡلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ ﴾ [المجادلة: ٣]، ولم يقل مؤمنة، يقول الشنقيطي: « وهذه المسألة من مسائل تعارض المطلق والمقيد، وحاصل تحرير المقام فيها أن المطلق والمقيد لهما أربع حالات .... الحالة الثانية: أن يتحد الحكم ويختلف السبب، كما في هذه الآية؛ فإن الحكم متحد وهو عتق رقبة، والسبب مختلف وهو قتل خطأٍ وظهارٌ مثلا، ومثل هذا المطلق يحمل على المقيد عند الشافعية والحنابلة وكثير من المالكية، ولذا أوجبوا الإيمان في كفارة الظهار حملا للمطلق على المقيد خلافًا لأبي حنيفة»[(١)].

٦-التفسير العلمي:

والمقصود بالتفسير العلمي: التفسير الذي يحاول فيه المفسر فهم آيات القرآن الكريم في ضوء ما أثبته العلم الحديث، ومن أبرز الباحثين الذين استعانوا بالتفسير العلمي في توجيه المتشابه د/ ياسين المجيد في كتابه المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم، ومن ذلك: ما ورد عنه في توجيه المتشابه في آيتي: ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ ﴾ [التكوير: ٦]، ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ٣ ﴾ [الانفطار: ٣] حيث يقول: «

(١) دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب للشنقيطي (ص ٩٣ - ٩٤)، ط: عطاءات العلم – الرياض، ط: الخامسة ١٤٤١هـ.

والحقيقة العلمية التي أصبحت معروفة هي أن البحار متوضعة على فوهات بركانية عظيمة وقديمة ومغلقة تنتظر ساعتها، وكلنا شاهد عبر وسائل الإعلام المرئية كيف تثور البراكين حيث تبدأ بإطلاق القذائف البركانية من الصخور والحمم التي تحرق الأخضر واليابس، وتحول الأرض إلى سيل من النار الملتهبة المتحركة، وهذا ما أشار إليه القرآن بقوله: (فجرت) و(سجرت) فالتفجير أولا ثم السجور ثانيا، لأننا نعرف أن النار الملتهبة إذا صببت عليها الماء تزداد اشتعالا لذلك قال سجرت»[1].

المطلب الثالث

فوائد توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم

لتوجيه المتشابه اللفظي فوائد متعددة، أجملها فيما يلي:

الفائدة الأولى: الرد على الطعون الموجهة لأسلوب القرآن.

حيث يتوهم بعض المشككين أن المتشابهات في القرآن تنافي بلاغته، وأنها من قبيل التكرار المذموم الذي يبطل إعجازه، ولقد كان لهذه الدعاوى الباطلة أثر كبير في استنهاض همم علماء المسلمين لتفنيدها وإظهار بطلانها، فقاموا بتأليف المصنفات الماتعة في توجيه المتشابه وبيان حكمه وأسراره، وقد بينوا في مؤلفاتهم أن السبب الذي دفعهم لخوض غمار هذا العلم هو الرد على الطاعنين، وإبطال الشبهات المثارة حول قضية التشابه اللفظي، فها هو الخطيب الإسكافي يذكر سبب تأليفه لدرة التنزيل، فيقول: « ولطعن الجاحدين ردا ولمسلك الملحدين سدا»[2].

وها هو ابن الزبير الغرناطي يبين أن الهدف من كتابه الرد على

(١) المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم. ت د/ ياسين المجيد (ص ٢٣)، ط: دار ابن حزم – بيروت.

(٢) درة التنزيل (٢١٩/١).

الملحدة والمعطلة الذين يطعنون في بلاغة القرآن الكريم، ويبرز هذا الهدف في عنوان كتابه المسمى بـ « ملاك التأويل القاطع لذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل».

هذا وإذا نظرنا في الشبهات المثارة حول التشابه اللفظي نجد أنها تتمحور حول فكرة واحدة، وهي الزعم بأن التشابه اللفظي ما هو إلا صورة من صور إعادة الكلام وتكرار عرضه دون وجود أدنى فائدة، فها هو المستشرق «جرجس سال» يزعم في كتابه "أسرار عن القرآن" « أن مما يبطل دعوى الإعجاز في القرآن "التكرار" وذلك لأن أهل العلم قالوا إن تكرار اللفظ بلا ضرورة يخل بالفصاحة والقرآن مشحون بذلك»(١).

هذا وبالنظر في المؤلفات المصنفة في علم توجيه المتشابه يبرز لنا بكل وضوح بطلان هذا الطرح، كما يظهر لنا أن الخطأ في فهم قضية التشابه اللفظي راجع إلى عدم إدراك فوائد ورود التشابه اللفظي في القرآن، فالتشابه اللفظي في القرآن – بمعنى إعادة ذكر بعض الألفاظ أو الجمل بتطابق تام أو مع اختلاف – أمر موجود لاشك في ذلك، إلا أنه ينبغي أن يعلم أن ذلك ليس من قبيل التكرار المذموم الكائن من كلام البشر، وإنما هو أسلوب بلاغي معجز يحقق العديد من الفوائد، أبرزها:

أ – تقرير المعنى وتأكيده: فمن المعلوم أن الكلام إذا تكرر تقرر، ويبرز ذلك في الآيات التي تتكرر كاملة في ذات السورة، كقوله تعالى في سورة الرحمن ﴿ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ يقول الشوكاني: « وكرر سبحانه هذه الآية في هذه السورة تقريرا للنعمة وتأكيدا للتذكير

(١) آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره «دراسة ونقد»، ت د: عمر رضوان (٦٧٦/١)، ط: دار طيبة ١٤١٣هـ.

بها»[1].

ب – التعظيم والتفخيم: كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ ﴾ [الواقعة: ١٠] يقول الشوكاني: « والتكرير فيه للتفخيم والتعظيم كما تقول أنت أنت وزيد زيد»[2].

ج – التهديد والوعيد: كما في قوله تعالى: ﴿ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ ﴾ [النبأ: ٤ – ٥]، وقوله تعالى: ﴿ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٤ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ۝٣٥ ﴾ [القيامة: ٣٤ – ٣٥]، قال الشوكاني: « وهذا تهديد شديد والتكرير للتأكيد»[3].

د – الأمن من النسيان لطول الفصل: وذلك كقوله تعالى: ﴿ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨٨ ﴾ [آل عمران: ١٨٨].

هـ – زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول: وذلك كتكرير (يا قوم) في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ۝٣٨ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ۝٣٩ ﴾ [غافر: ٣٨ – ٣٩].

و – الإنكار والتوبيخ: وذلك كتكرار قوله تعالى في سورة النمل: ﴿ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل: ٦٠] توبيخا للمشركين، يقول الإمام الآلوسي: « وهذا

(١) فتح القدير للشوكاني (١٦٠/٥)، ط: دار ابن كثير – دمشق ١٤١٤هـ.
(٢) المرجع السابق (١٧٨/٥).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٤١١/٥).

تبكيت لهم بنفي الألوهية عما يشركونه به عزوجل في ضمن النفي الكلي على الطريقة البرهانية بعد تبكيتهم بنفي الخيرية عنه»[١].

ز – التفنن في عرض المعاني بما يخدم السياقات المختلفة: وهذا يتجلى بشكل واضح في تكرار القصص القرآني، فالقصة وإن تكرر ذكرها في عدة سور إلا أن طريقة العرض مختلفة، حيث إنها لا تذكر بتطابق تام بل يكون هناك تغاير بينها وبين نظيرتها في الموضع الآخر، إما بالزيادة والنقصان، أو بالتقديم والتأخير، أو بالذكر والحذف، وكأن الحق سبحانه وتعالى قسم مشاهدة القصة الواحدة على أكثر من سورة ليكون ذلك أنشط للسامع، كما أن التفنن في طريقة عرض القصص يخدم السياقات المختلفة في السور التي ترد فيها، يقول ابن عاشور: « إن القرآن بالخطب والمواعظ أشبه منه بالتآليف، وفوائد القصص تجتلبها المناسبات فتذكر القصة كالبرهان على الغرض المسوقة هي معه، فلا يعد ذكرها مع غرضها تكريرا لها لأن سبق ذكرها إنما كان في مناسبات أخرى. كما لا يقال للخطيب في قوم، ثم دعته المناسبات إلى أن وقف خطيبا في مثل مقامه الأول فخطب بمعان تضمنتها خطبته السابقة: إنه أعاد الخطبة، بل إنه أعاد معانيها ولم يعد ألفاظ خطبته. وهذا مقام تظهر فيه مقدرة الخطباء فيحصل من ذكرها هذا المقصد الخطابي»[٢] فأنت ترى أن القصة في القرآن كأنها تتكرر في أكثر من موطن، والحقيقة أنها لا تتكرر ولكن يعرض في كل موطن جانب منها بحسب ما يقتضيه السياق، وبحسب ما يراد من موطن

(١) روح المعاني (٢١٦/١٠).

(٢) التحرير والتنوير (٦٨/١).

العبرة والاستشهاد[1].

الفائدة الثانية: حل مشكل القرآن:

والمقصود بمشكل القرآن: الآيات القرآنية التي التبس معناها واشتبه على كثير من المفسرين فلم يعرف المراد منها إلا بالطلب والتأمل[2].

ومشكل القرآن قد يأتي من جهة التشابه اللفظي، يقول ابن قتيبة: « ثم لما كان من شأن المتشابهين عجز الإنسان عن التمييز بينهما سمي كل ما لا يهتدي الإنسان إليه بالمتشابه إطلاقا لاسم السبب على المسبب، ونظيره المشكل سمي بذلك لأنه أشكل أي دخل في شكل غيره فأشبهه وشابهه»[3] ومن ذلك نفهم أن التشابه اللفظي قد يؤدي إلى حدوث التباس عند البعض في فهم الآيات القرآنية، ولا يمكن دفع هذا الإشكال إلا عن طريق توجيه التشابه وبيان أسرار الاختلاف.

هذا ويعتبر الإمام الرازي من أبرز الأئمة الذين اعتمدوا في دفع المشكل على توجيه المتشابه اللفظي، وذلك في العديد من المواضع، ومنها:

– في تفسير قوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ ﴾ [الغاشية: ٦] طرح الإمام الرازي إشكالا مفاده أنه تعالى بين هنا أن أهل النار ليس لهم طعام إلا من ضريع، في أنه في سورة الحاقة ذكر أنه لا طعام لهم إلا من الغسلين[4] فهذا من مواضع التشابه اللفظي المشكلة، وقد دفع هذا الإشكال بالتوجيه، فقال: « والجواب: من وجهين:

---

(١) أسرار البيان في التعبير القرآني (ص ١١).

(٢) مشكل القرآن الكريم ت د: عبد الله بن حمد المنصور (ص ٧٧)، ط: دار ابن الجوزي، ط: الأولى ١٤٢٦هـ.

(٣) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (ص ١٤٥)، ط: مكتبة دار التراث.

(٤) وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦ ﴾ [الحاقة: ٣٦].

الأول: أن النار دركات فمن أهل النار من طعامه الزقوم، ومنهم من طعامه الغسلين، ومنهم من طعامه الضريع، ومنهم من شرابه الحميم، ومنهم من شرابه الصديد، لكل باب منهم جزء مقسوم.

الثاني: يحتمل أن يكون الغسلين من الضريع ويكون ذلك كقوله: ما لي طعام إلا من الشاه، ثم يقول: ما لي طعام إلا من اللبن، ولا تناقض لأن اللبن من الشاة»[١].

– وفي تفسير قوله تعالى: ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ٥٩ ﴾ [البقرة: ٥٩] طرح الإمام الرازي إشكالا في هيئة سؤال، فقال: « لم قال في البقرة (بما كانوا يفسقون) وفي الأعراف (بما كانوا يظلمون) [٢] وقد حل هذا الإشكال بتوجيه التشابه اللفظي، فقال: « لما بين في سورة البقرة كون ذلك الظلم فسقا اكتفى بلفظ الظلم في سورة الأعراف لأجل ما تقدم من البيان في سورة البقرة والله أعلم»[٣].

(١) مفاتيح الغيب (١٤٠/٣١).

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ ... فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٢].

(٣) مفاتيح الغيب (٥٢٧/٣).

الفائدة الثالثة: إدراك الأسرار البلاغية:

فلقد كان لتوجيه المتشابه أثر بارز في إظهار بلاغة القرآن الكريم، وذلك يتجلى في صور عديد منها:

– بيان سر الفصل والوصل: وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٩]، فذكر هنا يذبحون بغير الواو، بينما قال في سورة إبراهيم: ﴿ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٦] فعطف يذبحون بالواو، يقول الإمام الرازي في توجيه هذه المسألة: « قال تعالى في سورة البقرة: يذبحون بغير واو لأنه تفسير لقوله: سوء العذاب، وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو تقول: أتاني القوم زيد وعمرو. لأنك أردت أن تفسر القوم بهما ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ ﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] فالأثام لما صار مفسرا بمضاعفة العذاب لا جرم حذف عنه الواو، أما في هذه السورة فقد أدخل الواو فيه، لأن المعنى أنهم يعذبونهم بغير التذبيح وبالتذبيح أيضا فقوله: ويذبحون نوع آخر من العذاب لا أنه تفسير لما قبله»[1].

– بيان سر التقديم والتأخير: وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ ﴾ يقول الرازي: « لم ذكر في البقرة وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وفي الأعراف قدم المؤخر، فقال: ﴿ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ

(١) مفاتيح الغيب (٦٦/١٩).

وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا ﴾ [الأعراف: ١٦١].

الجواب: الواو للجمع المطلق وأيضا فالمخاطبون بقوله: ادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة، يحتمل أن يقال: إن بعضهم كانوا مذنبين والبعض الآخر ما كانوا مذنبين، فالمذنب لا بد أن يكون اشتغاله بحط الذنوب مقدما على الاشتغال بالعبادة لأن التوبة عن الذنب مقدمة على الاشتغال بالعبادات المستقبلة لا محالة، فلا جرم كان تكليف هؤلاء أن يقولوا أولا «حطة» ثم يدخلوا الباب سجدا، وأما الذي لا يكون مذنبا فالأولى به أن يشتغل أولا بالعبادة ثم يذكر التوبة، ثانيا: على سبيل هضم النفس وإزالة العجب في فعل تلك العبادة فهؤلاء يجب أن يدخلوا الباب سجدا أولا ثم يقولوا حطة ثانيا، فلما احتمل كون أولئك المخاطبين منقسمين إلى هذين القسمين لا جرم ذكر الله تعالى حكم كل واحد منهما في سورة أخرى»[(١)].

– بيان سر تخصيص بعض المواضع بلفظ معين دون غيره: ومن ذلك قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا ٣٦ ﴾ [الكهف: ٣٦]، وقال في سورة فصلت: ﴿ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ ﴾ [فصلت: ٥٠]، يقول الخطيب الإسكافي: « للسائل أن يسأل عن قوله في الأولى: (رددت) وقوله في الثانية: (رجعت) وهل كان يجوز أحد اللفظين مكان الآخر في الاختيار؟

والجواب أن يقال: إن الأولى بقوله: (رددت إلى ربى) أولى، وذلك لما

(١) مفاتيح الغيب (٣/٥٢٦ – ٥٢٧).

تقدم من وصف الجنتين اللتين حوتا مراده، واشتملتا على ما أراده، وتقديره فيها أنهما يدومان له. والرد عن الشيء يتضمن معنى كراهية للمردود تقول: قصد فلان فلانا فرد عنه، وقصد فلانا فرجع عنه، فلما كان الأول ينقل عن جنته وهو خلاف محبته كان استعمال اللفظ الذي يدل على الكراهية فيه أولى.

والثانية لم يتقدمها مثل ما تقدم هذه، لأن قبلها: ﴿ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ﴾ [فصلت: ٤٩]، إلى قوله: (للحسنى) وليس في « رجع » ما في « رد » من كراهة وهوان يلحقان المردود ولا يلحقان المرجوع، فافترقا لذلك»[1].

الفائدة الرابعة: دفع توهم غير المراد:

من أهم فوائد علم توجيه المتشابه أن يوجه المتلقي إلى المعنى الصحيح للآية، ويبعده عن توهم معنى غير مقصود، ومن ذلك: توجيه الخطيب الإسكافي للاختلاف الوارد بين قوله تعالى في سورة النحل: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ [النحل: ٧٢]، وقوله في سورة العنكبوت: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٧]. فقد تساءل عن وجه الحكمة من زيادة (هم) في آية النحل وخلو آية العنكبوت منها، ثم قال: « والجواب أن يقال: إن الكلام في سورة النحل قد نقل عن الخطاب الذي يصلح لغير الكفار إلى الإخبار عنهم، وهو قوله: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم

(١) درة التنزيل (١/٨٧٤ – ٨٧٥).

بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ [النحل: ٧٢]، ثم انتقل الكلام عن الخطاب العام إلى الإخبار الخاص فقال: ﴿ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾ فأكد الكلام بقوله: (هم) لئلا يتوهم أن هذا الإخبار خطاب، وهو بالتاء دون الياء، إذ لا فرق في الخط بينهما، ولم يكن كذلك الأمر في سورة العنكبوت، لأن الإخبار المستمر في الآية التي قبل هذه أغنى عما يحصره للخبر دون غيره، وهو قوله: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴾ ، فترادف الإخبار عن الغيب أغنى عن توكيده بما يحصره على الخبر، وذلك واضح لمن تدبره»(١).

فهنا نلحظ أن توجيه الآية أفاد في بيان الحكمة من توكيد آية النحل بضمير الفصل، وهو الإشارة إلى أن الخطاب مقصود به أهل الشرك وذلك حتى لا يتوهم أن الخطاب موجه لجميع من سبقت الإشارة إليه.

الفائدة الخامسة: الكشف عن الإعجاز العلمي للقرآن:

فهناك من الباحثين من استفاد من توجيه المتشابه اللفظي في الكشف عن إعجاز القرآن العلمي، وذلك في بعض المواضع التي لها صلة بقضايا الكون والعلوم الحديثة.

ولاشك أن أمثال هذه التفسيرات تكون مقبولة متى التزم أصحابها بضوابط التفسير العلمي، وأبرزها الاعتماد على الحقائق العلمية وليس

(١) درة التنزيل (١/٨٥٧ – ٨٥٨).

النظريات، وضرورة مراعاة سياق الآيات وغيرها.

ومن الأمثلة التي يظهر منها فائدة توجيه المتشابه في قضية الإعجاز العلمي للقرآن: ما ورد عن الدكتور/ ياسين المجيد في توجيهه للاختلاف بين قوله تعالى في سورة الرعد: ﴿ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلٌّ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمًّىۚ ﴾ [الرعد: ٢]، وقوله في سورة لقمان: ﴿ كُلٌّ يَجۡرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ﴾ [لقمان: ٢٩] فعبر في الرعد باللام وعبر في لقمان بـ (إلى) يقول الدكتور/ ياسين: « والمعنى الذي أراه أقرب إلى الصواب: أن هناك أجلين أجل قريب وأجل بعيد، فالعلم الحديث كشف لنا عن دورة الأرض حول نفسها حيث يحدث الليل والنهار، ودورتها حول الشمس حيث تحدث الفصول الأربعة، وكذلك دورة القمر، ورصد لنا حركة الكواكب الأخرى وحركة الشمس وغير ذلك، فما كان للدورة القريبة اليومية والشهرية والسنوية استخدم لها اللام (لأجل) وما كان عن الأجل البعيد الذي ينتظرنا جميعا وننتظره استخدام الحرف إلى (إلى أجل) والله أعلم»[1].

ومما يؤيد هذا المعنى الذي ذهب إليه الدكتور ياسين أن آية لقمان سبقتها آية منبهة على النهاية والحشر، وهي قوله تعالى: ﴿ مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ ﴾ [لقمان: ٢٨] فكان المعنى: كل يجري إلى ذلك الوقت وهو الوقت الذي تكور فيه الشمس وتنكدر فيه النجوم.

الفائدة السادسة: دفع توهم ورود ألفاظ أو جمل قرآنية لا تحمل إفادة جديدة:

وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا ﴾

(١) المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم (ص ١١٨ – ١١٩).

[البقرة: ٢٣١] يقول الإمام الرازي: « لقائل أن يقول: فلا فرق بين أن يقول: فأمسكوهن بمعروف وبين قوله: ولا تمسكوهن ضرارا لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده فما الفائدة في التكرار؟.

والجواب: الأمر لا يفيد إلا مرة واحدة، فلا يتناول كل الأوقات، أما النهي فإنه يتناول كل الأوقات، فلعله يمسكها بمعروف في الحال، ولكن في قلبه أن يضارها في الزمان المستقبل، فلما قال تعالى: ولا تمسكوهن ضرارا اندفعت الشبهات وزالت الاحتمالات»[١].

(١) مفاتيح الغيب (٤٥٣/٦).

الخاتمة

أسأل الله حسنها

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبتوفيقه يصل المرء إلى أسمى الغايات .

وبعـد

ففي ختام هذه الدراسة أود أن أشير إلى أبرز النتائج التي ظهرت لي من خلال هذا البحث ، والتي يمكن إجمالها فيما يلي:

١ – ظهر من خلال البحث مدى العناية التي أولاها العلماء لقضية التشابه اللفظي في القرآن، حيث أفردوا لها العديد من المصنفات، وضمنوها كتبهم وتفاسيرهم إيمانا منهم بأهميتها وأثرها الكبير، وقد استمرت هذه العناية وهذا الاهتمام من العصر الأول وحتى يومنا هذا.

٢ – تبين من خلال البحث أن المتشابه اللفظي نوعان: الأول: المكرر بنفس ألفاظه دون اختلاف. والثاني: المتشابه مع وجود اختلاف. وصور الاختلاف متنوعة، فهناك الاختلاف بالتقديم والتأخير، أو الزيادة والنقصان، أو الجمع والإفراد، أو التعريف والتنكير، أو الإظهار والإضمار وغيرها.

٣ – باستقراء مؤلفات توجيه المتشابه اللفظي تبين أن الطرق التي استخدمها العلماء في توجيه المتشابه متعددة، فهناك التوجيه المعتمد على الأسرار المعنوية، وذلك مثل التوجيه بالنظر إلى تنوع الظروف والأحوال، والتوجيه بالنظر إلى مراعاة الموافقة المعنوية للسياق، والتوجيه بالنظر إلى مراعاة اختلاف الأفراد المقصودين بالآية، والتوجيه بالنظر إلى اختلاف مرجع الضمير، وهناك التوجيه المعتمد على النواحي اللفظية، وذلك مثل التوجيه بالنظر إلى مراعاة التناسب اللفظي، والتوجيه بالنظر إلى مراعاة ترتيب السور في المصحف

وغيرها، على أنه ينبغي التنبيه على أن النواحي اللفظية ليست عاملا أساسيا في التوجيه ولكنها قرينة تقوي التوجيه المعنوي.

٤ – كشف البحث عن تنوع الأدوات التي استخدمها العلماء في توجيه المتشابه، ويأتي في مقدمتها السياق، فقد كان له أثر كبير في بيان أسرار الاختلاف في مواضع التشابه اللفظي.

٥ – كان للغة دور بارز في توجيه المتشابه اللفظي، ويشهد لذلك تعدد القواعد اللغوية التي اعتمد عليها العلماء في عملية التوجيه، ومنها قاعدة دلالة الاسم على الثبوت والفعل على التجدد، وقاعدة زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى وغيرها.

٦ – أظهر البحث الفوائد والآثار الإيجابية لتوجيه المتشابه اللفظي، وأبرز تلك الفوائد الرد على الطعون الموجهة لأسلوب القرآن، وخاصة فيما يتعلق بقضية التكرار، حيث كشف البحث عن طبيعة التكرار الموجود في القرآن، وفوائده وأسراره.

٧ – ظهر كذلك من خلال البحث أن توجيه المتشابه اللفظي أفاد في حل الكثير من مشكل القرآن، إضافة إلى أنه أبرز الأسرار البلاغية التي كشفت عن إعجاز القرآن البياني، كما أن علم التوجيه كان له أثر إيجابي في إبراز الإعجاز العلمي للقرآن لا سيما في الآيات المتعلقة بقضايا الكون.

هذا وإن كان لي من توصية فإنني أوصي بضرورة عقد دراسة مستقلة تجمع فيها آيات المتشابه اللفظي التي طعن فيها المستشرقون وغيرهم، وتدرس هذه المواضع بمنهجية علمية يتم خلالها توجيه تلك الآيات، وبيان أسرارها البلاغية التي تدحض مزاعم المستشرقين وتبطل شبهاتهم.

والله ولي التوفيق

فهرس المصادر والمراجع

١ – الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٣٩٤هـ.

٢ – آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره «دراسة ونقد»، ت د: عمر رضوان، ط: دار طيبة ١٤١٣هـ.

٣ – أسرار البيان في التعبير القرآني د: السامرائي، والكتاب عبارة عن محاضرة صوتية تم تفريغها.

٤ – أسرار البيان في التعبير القرآني. د: فاضل السامرائي، ط: دار عمار – الأردن.

٥ – أسئلة بيانية في القرآن الكريم للدكتور : فاضل السامرائي، مكتبة الصحابة – الإمارات.

٦ – الأعلام للزركلي، ط: دار العلم للملايين ٢٠٠٢م.

٧ – البرهان في توجيه متشابه القرآن للكرماني، ط: دار الفضيلة.

٨ – البرهان في علوم القرآن للزركشي، ط: دار المعرفة – بيروت – لبنان.

٩ – البلاغة الواضحة لعلي الجارم ومصطفى أمين، ط: مكتبة الآداب – القاهرة.

١٠ – تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان.

١١ – تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ط: مكتبة دار التراث.

١٢ – التحرير والتنوير لابن عاشور، ط: الدار التونسية – تونس ١٩٨٤م.

١٣ – التعريفات للجرجاني، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ١٤٠٣هـ.

١٤ – التفسير البياني للقرآن الكريم. د: عائشة عبد الرحمن، ط: دار المعارف – القاهرة.
١٥ – تفسير القرطبي، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة ١٣٨٤هـ.
١٦ – توجيه المتشابه اللفظي بين القدامى والمحدثين. للدكتور/ محمد رجائي، ط: أكاديمية الدراسات الإسلامية – جامعة ملايا – كوالا لمبور ٢٠١٢م.
١٧ – توجيه المتشابه اللفظي في القرآن الكريم عند المفسرين – دراسة في تفسيري الرازي والآلوسي ت د / ريم عبد الفتاح – رسالة ماجستير في الآداب – كلية الآداب – قسم اللغة العربية بجامعة المنوفية.
١٨ – توجيه مشكل القراءات العشرية الفرشية لغة وتفسيرا وإعرابا. ت د : عبد العزيز الحربي – جامعة أم القرى – كلية الدعوة وأصول الدين ١٤١٧هـ.
١٩ – خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية. ت د / عبد العظيم المطعني، ط: مكتبة وهبة، ط: الأولى ١٤١٣هـ.
٢٠ – دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل للأستاذ الدكتور: محمد فاضل السامرائي.
٢١ – درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الاسكافي، تحقيق د: محمد مصطفى آيدين، ط: جامعة أم القرى، ط: الأولى ١٤٢٢هـ.
٢٢ – دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب للشنقيطي، ط: عطاءات العلم – الرياض، ط: الخامسة ١٤٤١هـ.
٢٣ – دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي في قصة موسى عليه السلام – رسالة ماجستير للباحث/ فهد بن شتوي، جامعة أم القرى – الرقم الجامعي ٠٤٠٢٣٨٠٢٩٧

٢٤ – دلائل الإعجاز للجرجاني، ط: مطبعة المدني بالقاهرة، ط: الثالثة ١٤١٣هـ.
٢٥ – روح المعاني للآلوسي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: الأولى ١٤١٥هـ.
٢٦ – روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه لابن قدامة، ط: مؤسسة الريان، ط: الثانية ١٤٢٣هـ.
٢٧ – شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد، ط: دار ابن كثير – دمشق ١٤٠٦هـ.
٢٨ – صحيح الإمام مسلم، ط: دار الطباعة العامرة – تركيا ١٣٣٤هـ.
٢٩ – فتح القدير للشوكاني، ط: دار ابن كثير – دمشق ١٤١٤هـ.
٣٠ – القاموس المحيط للفيروز آبادي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثامنة ١٤٢٦هـ.
٣١ – الكليات لأبي البقاء الكفوي، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت.
٣٢ – لسان العرب ، ط: دار صادر – بيروت، ط: الثالثة ١٤١٤هـ.
٣٣ – المبنى والمعنى في الآيات المتشابهات في القرآن الكريم. ت د/ ياسين المجيد، ط: دار ابن حزم – بيروت.
٣٤ – المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وتوجيهه. للدكتور/ محمد البركة، ط: جامعة الإمام محمد بن سعود – كلية أصول الدين بالرياض.
٣٥ – مستدرك الإمام الحاكم، ط: دار الكتب العلمية – بيروت.
٣٦ – مشكل القرآن الكريم ت د: عبد الله بن حمد المنصور، ط: دار ابن الجوزي، ط: الأولى ١٤٢٦هـ.
٣٧ – المعجم الوسيط. لإبراهيم مصطفى ومجموعة من المؤلفين، ط: دار الدعوة.

٣٨ – مفاتيح الغيب للرازي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الثانية ١٤٢٠هـ.

٣٩ – من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم. ت د: محمد الصامل، : دار إشبيليا، ط: الأولى.

References

1 -al et8an fy 3lom al8ran llsyo6y ،6: alhy2a almsrya al3ama llktab 1394h-.

2 -ara2 almstshr8yn 7ol al8ran alkrymwtfsyrh «drasawn8d» ،t d: 3mr rdoan ،6: dar 6yba 1413h-.

3 -asrar albyan fy alt3byr al8rany d: alsamra2y،walktab 3bara 3n m7adra sotya tm tfryghha.

4 -asrar albyan fy alt3byr al8rany. d: fadl alsamra2y ،6: dar 3mar – alardn.

5 -as2la byanya fy al8ran alkrym lldktor : fadl alsamra2y ،mktba als7aba – al emarat.

6 -ala3lam llzrkly ،6: dar al3lm llmlayyn 2002m.

7 -albrhan fy togyh mtshabh al8ran llkrmany ،6: dar alfdyla.

8 -albrhan fy 3lom al8ran llzrkshy ،6: dar alm3rfa – byrot – lbnan.

9 -alblagha aload7a l3ly algarmwms6fy amyn ،6: mktba aladab – al8ahra.

10 -taoyl mshkl al8ran labn 8tyba ،6: dar alktb al3lmya – byrot – lbnan.

11 -taoyl mshkl al8ran labn 8tyba ،6: mktba dar altrath.

12 -alt7ryrwaltnoyr labn 3ashor ،6: aldar altonsya – tons 1984m.

13 -alt3ryfat llgrgany ،6: dar alktb al3lmya – byrot – lbnan 1403h-.

14 -altfsyr albyany ll8ran alkrym. d: 3a2sha 3bd alr7mn ، 6: dar alm3arf – al8ahra.

15 -tfsyr al8r6by ،6: dar alktb almsrya – al8ahra 1384h-.

16 -togyh almtshabh allfzy byn al8damywalm7dthyn. lldktor/ m7md rga2y ،6: akadymya aldrasat al eslamya – gam3a mlaya – koala lmbor 2012m.

17 -togyh almtshabh allfzy fy al8ran alkrym 3nd almfsryn – drasa fy tfsyry alrazywalalosy t d / rym 3bd alfta7 – rsala magstyr fy aladab – klya aladab – 8sm allgha al3rbya bgam3a almnofya.

18 -togyh mshkl al8ra2at al3shrya alfrshya lghawtfsyraw e3raba. t d : 3bd al3zyz al7rby – gam3a am al8ry – klya ald3oawasol aldyn 1417h-.
19 -5sa2s alt3byr al8ranywsmath alblaghya. t d / 3bd al3zym alm63ny ،6: mktbawhba ،6: alaoly 1413h-.
20 -drasa almtshabh allfzy mn ay altnzyl fy ktab mlak altaoyl llastaz aldktor: m7md fadl alsamra2y.
21 -dra altnzylwghra altaoyl ll56yb alaskafy ،t78y8 d: m7md ms6fy aydyn ،6: gam3a am al8ry ،6: alaoly 1422h-.
22 -df3 eyham alad6rab 3n ay alktab llshn8y6y ،6: 36a2at al3lm – alryad ،6: al5amsa 1441h-.
23 -dlala alsya8wathrha fy togyh almtshabh allfzy fy 8sa mosy - rsala magstyr llba7th/ fhd bn shtoy ،gam3a am al8ry – alr8m algam3y 0402380297
24 -dla2l al e3gaz llgrgany ،6: m6b3a almdny bal8ahra ، 6: althaltha 1413h-.
25 -ro7 alm3any llalosy ،6: dar alktb al3lmya – byrot ،6: alaoly 1415h-.
26 -roda alnazrwgna almnazr fy asol alf8h labn 8dama ، 6: m2ssa alryan ،6: althanya 1423h-.
27 -shzrat alzhb fy a5bar mn zhb labn al3mad ،6: dar abn kthyr – dmsh8 1406h-.
28 -s7y7 al emam mslm ،6: dar al6ba3a al3amra – trkya 1334h-.
29 -ft7 al8dyr llshokany ،6: dar abn kthyr – dmsh8 1414h-.
30 -al8amos alm7y6 llfyroz abady ،6: m2ssa alrsala – byrot ،6: althamna 1426h-.
31 -alklyat laby alb8a2 alkfoy ،6: m2ssa alrsala – byrot.
32 -lsan al3rb ،6: dar sadr – byrot ،6: althaltha 1414h-.
33 -almbnywalm3ny fy alayat almtshabhat fy al8ran alkrym. t d/ yasyn almgyd ،6: dar abn 7zm – byrot.

34 -almtshabh allfzy fy al8ran alkrymwtogyhh. lldktor/ m7md albrka ،6: gam3a al emam m7md bn s3od – klya asol aldyn balryad.
35 -mstdrk al emam al7akm ،6: dar alktb al3lmya – byrot.
36 -mshkl al8ran alkrym t d: 3bd allh bn 7md almnsor ،6: dar abn algozy ،6: alaoly 1426h-.
37 -alm3gm alosy6. l ebrahym ms6fywmgmo3a mn alm2lfyn ،6: dar ald3oa.
38 -mfaty7 alghyb llrazy ،6: dar e7ya2 altrath al3rby – byrot ،althanya 1420h-.
39 -mn blagha almtshabh allfzy fy al8ran alkrym. t d: m7md alsaml ،: dar eshbylya ،6: alaoly.